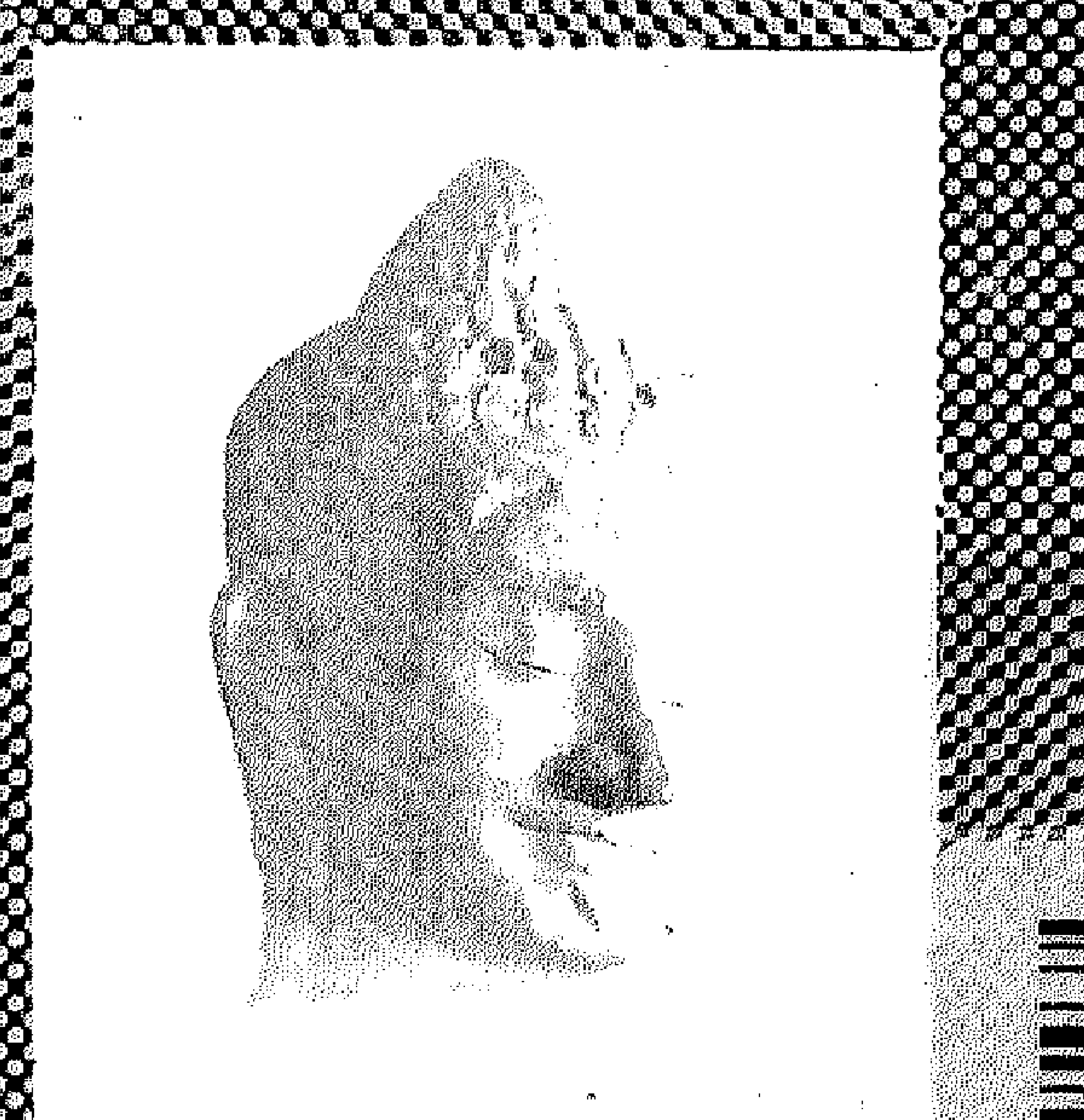


سلسلة أعلام الفكر العالمي



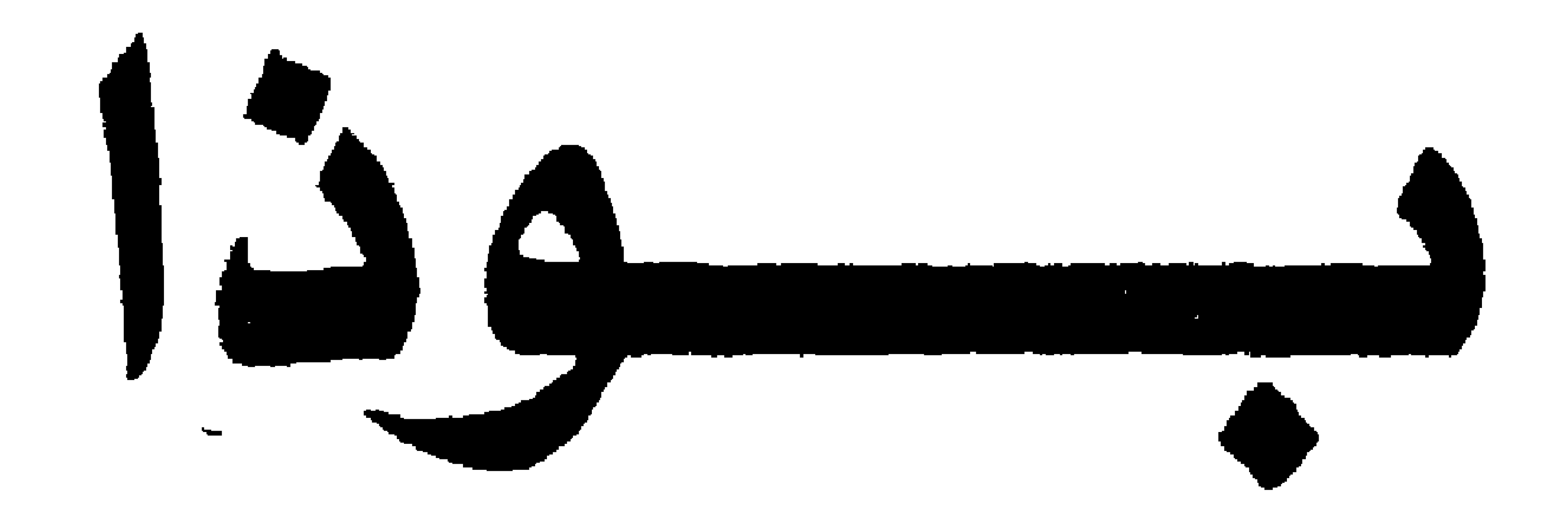
Bibliotheca Alexandrina
0093675

بوذا

تأليف: هنري أرفون ترجمة: المحامي حبيب نمر

بـــوذا

سلسلة اعلام الفكر العالمي



بوذا

تأليف: هنري أرفون

ترجمة: المحامي حسيب نمر

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير
ت: ٣١٢١٥٦ - برقياً «موكيالي» بيروت
ص. ب. ١١/٥٤٦٠ بيروت

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

تموز (يوليو) ١٩٨٠

حيـاة بوذا

لم يتخلص البوذا من المصير الذي يحب النقد التاريخي أن يخص به مؤسسي الديانات : حتى ان وجوده كان موضع شك . وفي « محاولة حول أسطورة بوذا » (١٨٧٥) كتبها ا. سينار (E. Senart) اعتقد هذا الأخير أنه واجد في الأحداث التي تتألف منها حياة بوذا كما توردها التقاليد الموروثة ، انعكاسات لأحجية شمسية . كما أن العالم الهولندي « كيرن » (Kern) أكد بدوره في « تاريخه عن البوذية في الهند » (١٨٨٢) ، معتمداً على « لاليتا فيستارا » وهي القصة الأسطورية عن حياة « بوذا » ، أكد ان علاقات فلكية ، قد حددت الخطوط الكبرى لمسيرة تلك الحياة ؛ اتجاه غريب في الحقيقة ، ولكنه من مميزات القرن التـاسع عشر ، الذي انتصرت فيه الطريقة العلمية ، أن يحاول بواسطة الفكر العلمي بمعطياته الوقتية وغير الأكيدة طرد الفائق للطبيعة المنبثق من

الطموحات الدائمة للروح الانسانية ، وبالمقابل فان ه. اولدنبرغ (H. Oldenberg) في كتابه الأساسي : « بوذا : حياته . وعقيدته . وطائفته » مال إلى التسليم بحقيقة وجوده تاريخياً . ولم يلبث علم الآثار أن أثبت رأيه . ففي سنة ١٨٩٦ اكتشفت في «كابيلا فاستو» (Kapilavastu) وهي مدينة واقعة شمالي « باناريس » حيث تحدد الأسطورة مكان ولادة بوذا . على عارضة عمود انشيء في القرن الثالث قبل المسيح من قبل الامبراطور البوذي « اسوكا » (Açoka) ، الكتابة الآتية : « البارّ ولد هنا » .

إذن القضية تتناول شخصاً تاريخياً حدد تاريخ موته بيقين كبير ؛ سنة ٤٨٣ قبل المسيح . وبما أن عمره كان بلغ عند وفاته ثمانين عاماً ، فان تاريخ ولادته يجب أن يكون محدداً سنة ٥٦٣ قبل المسيح . وبالتوصل إلى تلك الدقة التاريخية نجد أنفسنا يسوقنا الاغراء إلى أن ندخلها في التاريخ العام للبشرية . وقد ظن الفيلسوف الألماني « كارل جاسبير » (Kare jas-pers) في كتابه المسمى : « معنى التاريخ وأصله » انه يكتشف نحو سنة ٥٠٠ قبل المسيح انقطاعاً حاسماً في تاريخ الناس، ونشوء نوع من المحور يتمركز حوله مرحلتان أساسيتان من التطور البشري . وان عصر السحر انتهى حينئذ ، وابتدأ

الانسان يعي الكائن ، يعي نفسه وحدوده . ولهذا السبب فان بوذا ليس حدثاً منعزلاً ، انما عاصره « كونفيوشيوس » و « لاو — تسو » Lao - Tseu في الصين . و « زرادشت » (Zaroastre) في فارس، والأنبياء « ايليا . وحزقيال . وارميا » عند اليهود ، وهوميروس ، والفلاسفة بارمينيدس (Parméride) ، وهيراكليت ، وأفلاطون في اليونان .

وهكذا فان خطاً عاماً من التحرر الفكري والأخلاقي ينبثق ، وهذا الخط لم يمتزج مع أية فاسفة أخرى ذات أبعاد غير واضحة ، ولكنه حمل إلى قصة حياة بوذا اثباتاً إضافياً .

صحيح أن هوة تفصل بين الحيـــاة الحقيقية لبوذا والأسطورة التي تكتنفها زينة فخمة من التفاصيل السحرية ، وان المسألة التي سبق لارنست رينان أن طرحها في كتابه « حياة المسيح » هل ان الهنود يأخذون « اللاليتا فيستارا » كمسيرة حياة ؟ تحمل أكثر من أي وقت آخر جواباً سابياً . ورغم ذلك فان كل جهد لاستخراج النواة الثابتة لحياة بوذا من غلافها الأسطوري لا يبدو عقيماً فقط بسبب استحالة إيجاد البساطة الأصلية تحت ذلك التركيب غير المنطقي الخاص بالشرق ، ولكن أيضاً وعلى الأخص يبدو متفاقم الضرر بالنسبة لتفهم عقيدة بوذا . ففي الواقع ، يوجد في الميدان

الديني ، علاقة لا تنفصم تربط التصور الحسي والرمزي ، مع الخيال والفكر . وأيضاً،ان الأسطورة الهادفة إلى تزيين مغامرة الروح وشرحها ، هي أكثر أهمية من حقيقة تاريخية باردة ، تفسيرها صعب وغير أكيد . ومهما كان اعتبارنا ان حياة مؤسس دين ما ، لا تساوي أكثر من الفكرة التي يأتي بها إلى النور ، فان تسليمنا بأسطورة تقليدية لا يحمل الأذى إلى حقيقته التاريخية ، وهو يسهم في الكشف عن مرتكزات حميمة .

والصفة الكونية التي ميزت بالتدريج رسالة بوذا تعيد في وقت واحد قولية شخصية الذي بشر بها وحياته . إن التقيد الأعمى بالدقة التاريخية فقط ، سيؤدي بنا ، بدون شك ، إلى أن نتقلص فلا نرى في بوذا إلا فيلسوفاً متزمتاً لا ميزة له في خامة الوجود سوى الاستمرار الواسع للألم العام . انه ارستوقراطي متعالٍ ربما استمد مثاله الأعلى،عن التخلي الكامل قوته من الممتلكات التي كانت له ، وكان يبشر بمفهوم فردي تماماً عن الخلاص ، بتوجهه إلى « الجمهور » الذي لم تكن تتلاءم معه ثقافته الرقيقة إلا بصعوبة أقل ، مما كان يفعل بالنسبة إلى النخبة من البراهمة والمحاربين . الفن البوذي في أيامه الأولى بعكس التجريد البارد لتعاليمه ، وبما أن بوذا ماثل نفسه مع « الناموس » كما علمه هو نفسه ، فان الفنانين تجنبوا

تصويره شخصياً . وكانت الرموز التي يلجؤون إليها لتمثيل حضوره عبارة عن شجرة تين الزينة ، وعرش ملكي كرسيه فارغ ،وفرس قتال بدون فارس ، وأثر قدم .

والاحتكاك مع الحضارة الهيلينية هو الذي طور البوذية نحو مفاهيم أقل جموداً ، وأقرب إلى الحقائق الانسانية البسيطة . الفن اليوناني — البوذي لدى « غاندارا » زود الايمان البوذي تحت مظاهر ابن « ابولون» بنموذج بوذا نفسه ، الذي يعكس الناموس ولكنه يعطيه بدوره لونه الخاص : جفنان طويلان يحميان عينيه من واقع يستمر منبعاً لجميع الآلام . غير ان ما يثير الانتباه بشكل خاص في جميع تماثيل بوذا مهما كانت الفروقات المحلية والتاريخية التي تميزها واضحة ، هو ذلك الصفاء الكامل الذي ينير وجهاً باسماً ، وانطلاق روح متخاصة تماماً وإلى الأبد من كل رغبة ومن كل هوى . وإذا كان بوذا « المستغرق » أي المأخوذ بالاغريقية هكذا يحذر أيضاً من أوهام الحقيقة ، فانه يعلم خاصة بابتسامته الهادئة ان بالامكان تبديدها (الأوهام) والتغلب بذلك على العذاب الذي تحدثه .

وتمت خطوة جديدة نحو تعليل أكثر اتساعاً وأكثر شجاعة ، للبوذية ، عندما برزت في مطلع العصور المسيحية

المركبة الكبرى (ماهايانا) إلى جانب المركبة الصغرى (هينايانا) الضيقة والمحدودة ، الحارسة للعقيدة الأصلية . فبوذا التاريخي قد مجد « الآرهات » (Arhat) (القديس) الذي بفضل جهوده الشخصية بلغ « النيرفانا » حيث يتخلص نهائياً من كل رغبة في الحياة . وان أهمية الجهد الفردي تماماً في ذلك البحث كانت من الشدة بحيث أن بوذا قد أصر على التأكيد بأن الآلهة أنفسهم ، الراغبين في الدخول إلى النيرفانا ، مضطرون إلى اتمام الشرط البشري عند تناسخهم الأخير . وضد تلك الأنانية الآيلة إلى بلوغ الخلاص لمصلحة الذات فقط ، هبت المركبة الكبرى بشكل خاص . وبوذا المركبة الصغرى ، المنشغل أساساً بمصيره الخاص ، يترك هكذا المجال « للبوذ يساتفا» الذي ، رغم وصوله إلى عتبة « النيرفانا » ، يرفض تجاوزها كي يخلص الذين تجاوزهم ، والذين لم يعرفوا بعد الصفة الخادعة للواقع . البوذية ، منطلقة من تشاؤمية أساسية ، اغتنت بعدما آمنت بمظهر ماطف للصفاء ، في المركبة الكبرى ، بالكنز الذي لا ينضب من الرحمة .

ولكننا نرى أن أسطورة البوذية تستند بالتدقيق لا فقط على الاستنتاج المر للعذاب العام ، بل أيضاً وبخاصة على الصفاء الذي يتمتع به الانسان بعدما يتوصل إلى ادراكه ووعيه ،

وهي في الوقت نفسه تمجد الرحمة والشفقة إذ بعد الاشراق الذي يفتح جميع الأبواب الكبيرة للنيرفانا ، يفضل بوذا تأخير الخلاص النهائي كي يحمل الخلاص إلى البشر . ورداً على الفضيحة التالية الموجهة من « مارا » الماكر : « ادخل الآن إلى النيرفانا ، أيها البار ، ادخل إلى النيرفانا أيها الكامل ، هوذا الآن قد حان وقت النيرفانا للبار » يقاوم بوذا الاغراء ويقول حالاً : « لن أدخل إلى النيرفانا ، أيها الماكر » ، قبل أن تتقدم طريقة العيش المقدسة التي أبشر بها ، وتتسع ، وتنتشر بين الشعب بأجمعه ، وتنال الحظوة، وتعلن إلى الناس بأجمعهم » .

حياة بوذا مثالية بجميع ما في الكلمة من معنى ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث تجارب أساسية : تجربة الوهم (مايا) ، وتجربة الاشراق (بوذ ي) ، وتجربة القانون الأساسي الصفة الجوهرية (ذارما) التي علم بها حتى وفاته .

تتزين « المايا » بجميع اغراءات الحياة ، ولكي يكشف القناع عن ضلالها ، لا يكفي التأكيد أن كل وجود يحمل حصته من الآلام ، فالانسان ميال جداً إلى نسيانها ، لأن مما لا شك فيه ان الحياة تحمل أيضاً مسرات تعوض عن تلك الآلام . بل ان ما يجعلها غير محتملة في الواقع، هو اللااستمرارية المتصفة بها. فهي ليست شيئاً آخر سوى وهم عابر يتمزق ستره

بأوقات متوالية . ولاعطاء ذلك التناقض الأساسي في الحياة البشرية جميع حجمه المأساوي ، تفرز أسطورة بوذا من جهة ، قوة المايا بالانعام على بوذا بجميع الثروات الأرضية ، ومن جهة أخرى تعزز الامكانية الممنوحة لكل كائن بشري كي يدرك عجرفته الأصلية ، بتأكيدها على المصير المقدر لبوذا .

بوذا من أصل نبيل ، فهو ينتمي إلى فئة المحاربين ، وتمجده الأسطورة بجعله مولوداً من أصل ملكي ، فأبوه « سوذودانا » كان ملكاً على مملكة « الشاكياس » (Câkyas) التي كانت عاصمتها المدينة الغنية «كابيلافاستو» (Kapila-vastu) ، وعندما أبصر النور أعطي اسم : سيدهارتا (Siddhartha) (أي الذي بلغ هدفه)، الذي يضاف إلى اسمه العائلي: « غوتاما » (Gautama)، وبعد ذلك أصبح يدعى بأسماء عديدة أخرى منها: « شاكياموني » (çak-yamuni) (شاكيا الحكيم) ، وبوذا أي الذي استيقظ (المستيقظ) ، وحيناً (المنتصر)، وتاثاغاتا (Tathagata) (أي الكامل) ، وباغهافات (Baghavat) (البار) ، وهي عبارات تتردد دورياً في النصوص البوذية .

وفوق ذلك ، كانت ولادته عجائبية ، إذ هي لا تخضع

للقواعد البشرية ، انه لم يكن بحاجة لأن يحبل به ، فقد دخل إلى أحشاء أمه : الملكة « مايا » بشكل فيل صغير أبيض ، وكان قد حصل بسبب ولادات سابقة على نضوج روحي إلى درجة أصبح معها من النافل ضرورة الزرع الابوي . وبعد عشرة أشهر بينما كانت « مايا » واقفة في ظل شجرة تين واقعة في ايكة من حديقة لومبيني (Lumbini) ، وضعت طفلاً ، ما ان خرج إلى النور من جهتها اليمنى ، حتّى استقبله أحد الآلهة ، ومجيء بوذا إلى العالم على هذا الشكل لم يقترن بأي دنس . والصفة الاستثنائية لتلك الأمومة تتميز بوفاة الملكة « مايا » الحاصلة بعد سبعة أيام من ولادته ، فقامت شقيقتها ماهابرا — جاباتي (Mahaprajapati) بحضانة الطفل الأمير .

وقد ربي في عزلة باذخة يقول : « لقد دللت ، دللت جداً ، لم أكن أتعطر إلا بصندل « بيناريس » (Benarès) ، وليلاً نهاراً كانت تنشر مظلة بيضاء فوقي ، كان لدي قصر للشتاء ، وقصر للصيف ، وآخر لفصل الأمطار . وخلال الأشهر الأربعة لفصل الأمطار لم أكن أترك القصر ، وكنت محاطاً بعازفات الموسيقى ... » . ولم يكن يبدو أن شيئاً يمكن أن يعكر تلك السعادة ، وخاصة ان الملك « سوذودانا » تبعاً لعرافة كانت تقول ان ابنه يمكن أن يصبح ناسكاً ، ولكي

يثنيه عن التنازل عن العرش ، أبعد من أمام عينيه كل مشهد من مشاهد البؤس البشري مهما كان صغيراً . وقد تميز الأمير بعلمه ، بقدر ما تميز بشجاعته . وعندما حاز على الفوز في مسابقة بالقوس اخترق فيها سهمه سبع أشجار ، قدمت له يد ابنة خاله الجميلة يازودارا (Yasodhara) . وفي الدقيقة التي بدا فيها أن « مايا » ، قد احتفظت به نهائياً في شباكها المصنوعة من الساطة . والثروة ، والسعادة الزوجية حصل الانفصال المفاجىء ، ففي خلال الطلعات الأربع المتتابعة التي قام بها مخترقاً المدينة راكباً عربته ، أطاعته القدرة الالهية على مشاهد العذاب البشري ، ثم فتحت امامه طريق الخلاص .

الوحي الأول حمله إليه منظر رجل مسن ، صرخ موجهاً كلامه إلى سائقه : « أيها السائق ما أشد بؤس الانسان الجاهل والضعيف الذي يمنعه ذكاؤه الثمل بكبرياء الشباب ، من رؤية الشيخوخة ! أدر حالاً العربة هنا ، أريد العودة ، ما همني من اللعب واللذات ، أنا المسكين المقبل للشيخوخة ؟ »

وفي الطلعة الثانية ، آثار نظره الحساس رجل « مصاب بالمرض ، محروق ، هدته الحمى ، ضعيف الجسم ، متسخ ببرازه ، لا حامي له ، ولا مأوى ، يتنفس بصعوبة » فاعترف قائلاً : « الصحة إذن هي كلعبة حلم ! ولاهوال المرض إذن

هذا الشكل المرعب ! أي رجل إذن يستطيع بعدما يرى مثل هذا الوضع من الحياة ، ان يفكر بالفرح واللذة ؟ »

والطلعة الثالثة أتاحت له أن يلتقي موكباً يحمل وسط النحيب والبكاء جثة إلى المحرقة . فظهرت له هذه المرة . اللااستمرارية في جميع مداها المثير للشفقة . قال : « تعساً للشباب الملغوم بالشيخوخة ! تعساً للعافية التي تحيطها جميع أنواع المرض . تعساً لحياة الانسان التي لا تدوم طويلاً ! تعساً لمفاتن اللذة التي تغري قلب الحكيم ! » لقد أصبح الطريق الموصل إلى الخلاص ، منفتحاً حراً ، بعدما طردت منه أوهام الحياة .

ويبدو أن منظر راهب متسول شاهده في طلعته الرابعة والأخيرة هو الذي أعطى الجواب على انتظار قلق بشكل علمي وتدريجي أصبح يثير القلق أكثر فأكثر ، لقد شاهد « غوتاما » ناسكا « بيكشو » (Bhikshu) حاملاً الجفنة المعدة لتقبل عطاءات الاحسان ، ويقوم بالتسول ، فسأل سائقه : « أيها السائق ، من هو هذا الرجل الهادىء ذو الروح الهادئة جداً ، الذي يسير منخفض النظرات ناظراً فقط إلى عبودية طويلة ، لابساً ثياباً حمراء ، ويتصرف تصرفاً كامل الهدوء ؟ انه يحمل جفنة للحسنات وليس متكبراً ولا متعالياً » .

فأطلعه السائق على حقيقة أمره : « أيها السيد ، ان هذا الرجل واحد من الذين يسمونهم : « بيكشو » هجر مسرات الشهوة ، وأصبح ذا مسلك كامل ، ومنتظم ، لقد جعل من نفسه متديناً متجولاً يبحث عن هدوء النفس ، انه يسيرطالباً ا الحسنة بدون اشتهاء ولا حقد » وقال غوتاما مستنتجاً : « ان ذلك لجيد ، وكلام حسن ، ويثير فيّ الرغبة ، فالدخول إلى الدين كان في الواقع دائماً محموداً من قبل الحكماء ، وفيه فائدة للنفس ومنفعة للكائنات الأخرى ، انها حياة سعيدة ، وحجرة مفعمة بالرقة ، وثمرة الأعمال » .

يمكن ان ذلك القرار بأن يصبح راهباً متسولاً لم يكن ليجد طريقه إلى التنفيذ فوراً ، لولا أنه بعد عودته من جولته الرابعة لم يعلم أن زوجته قد أعطته طفلاً ، سمي راحولا : (Rahola) ، فلكي لا يخضع لجاذب الأبوة الذي لا يقاوم هرب في الليلة نفسها من القصر الملكي بعدما تأمل للمرة الأخيرة زوجته وابنه الوليد وهما نائمان . وقد وضعت الآلهة أيديها تحت نضوات حصانه المسمى : « كانثاكا » (Kan-thka) كي تخفت كل ضجة . ولما وصل بدون عائق إلى الغابة القريبة ، سرح حصانه الذي ما لبث أن نفق ، بسبب عدم تحمله فراق سيده ، لقد أصبح منذ ذلك الوقت حراً من

كل قيد ، فتخلص من ثيابه الحريرية ، وارتدى ثوباً مصنوعاً من قشر الشجر ، لقد بدأت بذلك حياة جديدة بالنسبة إلى « غوتاما » ، وكان في التاسعة والعشرين من عمره عندما تجرأ على القيام بتلك القفزة خارج « المايا » ، على القيام « بذلك التخلي الكبير » .

قرار بطولي دون شك ، يجدر بنا أن نؤكد ، انه في النطاق الوطني الهندي والديني المتخذ من خلاله ، ليس استثنائياً إلا إذا نظرنا إليه بالنسبة إلى مرحلة شباب بوذا المستقبل . ان التخلي عن الحياة المتعارف عليها ، ابتداء من سن معينة تبدو فيها الواجبات المفروضة من قبل الأسرة والمجتمع ، وقد تممت، ليس أمراً غريباً في الواقع في المسيرة التقليدية للحياة الهندية ، فبوذا بدأ يتبع بدقة شديدة الطريق التقليدي الذي خطه البراهمة، عندما مارس التقشف ، حتى بأكثر أشكاله قساوة . فهو على غرار جماعة « اليوغا » كان يمتنع عن الجلوس ، ويبحث عن تقوية تمارين التركيز الروحي ، ببقائه منتصباً على كعبي قدميه،ولكي يمارس التحنث الجسدي كان ينام على سرير من الشوك ، ويكتفي غالباً بحبة واحدة من الأرز ، بمثابة طعام يومي . الهدف الأكبر للبراهمة كان في الواقع ، محو الشخصية الفردية ، كي يتمكن الانسان من

بلوغ الوحدة الأصلية . وبما أن ذلك الامتزاج لا يمكن أن يتم إلا على مستوى الأرواح ، وباعتبار أن الروح الفردية « الآتمان » في حال مشاركة ضيقة مع الروح الكلية : «البرهمان» فان الأمر يتناول قبل كل شيء ، طرد جميع الأهواء : والميول التي تجعل الروح الفردية مرتبطة بمتطلبات الجسد . إذن : ذلك يعني القطع التام للعلاقات التي تربط في الانسان الواحدة بالآخر ، وهذا الهدف يسعى إليه بحماسة عن طريق التحنف أو التحنث الأكثر صرامة ، وقد مارسه « غوتاما » برفقة خمسة من اليوغيين .

إنما كان هناك سوء فهم لم يدركه « غوتاما » إلا بعد سبع سنوات من الجهود العقيمة . ان ما كان يبحث عنه ـــ بخلاف البراهمة ـــ لم يكن ملجأ مؤقتاً ضد العذاب العام ، مفتوحاً فقط للذين احتقروا جسدهم تماماً وتخلصوا من فرديتهم الخاصة ، بل النهاية نفسها لذلك العذاب عن طريق الوعي الفردي ، وبالاختصار ان ما كان يهمه ليس الكمال المكتسب بنفي الذات ، بل الاكتساب الفردي للمعرفة ، والعلم . ومن الأكيد أن جسداً كالهيكل العظمي ، وروحاً غارقة في تركيز فارغ من أي شيء هما أبعد من أن يساعدا على التكوين البطيء لتلك المعرفة ، وهما يضعان في وجهها عراقيل

لا يمكن تجاوزها . وهكذا توصل « غوتاما » إلى التبشير « بالطريق الوسط » الذي يقع على مسافة متساوية من الملاك (ديفا ، Deva) والشيطان (بريتا ، Preta) ؛ وبطريقة من الحياة بعيدة عن حياة الملذات بقدر ما هي بعيدة عن تعذيب الذات . وكان الرفقاء الخمسة على حق ؛ في الابتعاد عنه حينئذ ، رغم أن القضية في الظاهر لم تكن سوى عبارة عن إصلاح يتناول بعض الممارسات الدينية . غير ان هذا الاصلاح بذهابه إلى أبعد من الاشكال ليمس بالضرورة محور البراهمية وجوهرها أعني العلاقات بين « الآتمان والبراهمان » يؤدي إلى التخلي عن التقاليد البراهمية .

بلغت مسيرة « غوتاما » الروحية ذروتها ذات مساء ، عندما كان جالساً قرب جذع شجرة تين ؛ قرب قرية «اوروفيلا» (Uruvela) الواقعة في جنوبي « باتنا » فقد ظهرت عدة ظاهرات فائقة للطبيعة مبشرة بالاشراق القريب الذي سيجعل منه بوذا ، المستنير ، حيث ان ابنة أحد المزارعين المدعوة «سوجاتا» (Sujata) ، بناء على نذر عقدته بأن تقدم لاحدى أرواح شجرة « البانيان » تقدمة سنوية ، قدمت إلى « غوتاما » وقد حسبته اله الشجرة ، جفنة من ذهب مملوءه من الأرز المطبوخ باللبن ، فتخلى آنذاك عن

الصيام وتناول الطعام — ثم رمى بعد ذلك بالجفنة في مياه « النيرانجارا » . وحدثت بذلك الأعجوبة الأولى إذ ان الجفنة عادت صاعدة ضد التيار ، تقول الأسطورة : « بعدما أتم تناول الأرز باللبن ، أخذ الجفنة المصنوعة من الذهب وهو يقول : « إذا كنت سأنجح في أن أصبح بوذا اليوم لتصعد هذه الجفنة ضد التيار ، وإلا فلتنحدر معه،ورماها إلى الماء ، فإذا بها تعوم مخترقة التيار حتى وصلت إلى وسط النهر ، وهناك مثل فرس سباق ، راحت تصعد التيار إلى مسافة ثمانية أذرع ، وهي باقية طول الوقت وسط النهر . عندئذ غاصت في لجة الماء ووصلت إلى قصر الملك الأسود للحيات واصطدمت « كليك كليك » ، بالجفنات الثلاث التي استخدمها البوذات الثلاثة الأخيرون ، وأخذت مكانها في طرف صف تلك الجفنات ، وعندما سمع ملك الحيات تلك الضجة صرخ : « ماذا ، البارحة عاش بوذا ، وها هو آخر يولد » .

وبعد قليل من الوقت ، رآه أحد الصادين ، فظنه أحد البراهمة فقدم له ثماني باقات من العشب بمثابة تقدمة طقسية، وبعدما طاف « غوتاما » حول الشجرة ، توقف تجاه الشرق حيث الأرض تبدو ثابتة غير متحركة حوله . وبعدما وضع العشب بشكل تاج الحكمة ، قرر أن ينتظر الاشراق في

ذلك الموضع ، « ليجف جلدي ، وأعصابي وعظامي ، فأنا لا أبالي ، ليجف لحمي ودم جسدي ، ولكني لن اتحرك من هذا الموقع قبل أن أبلغ الحكمة العليا والمطلقة » .

ان ذلك القرار الحاسم بالهرب إلى الأبد من العالم المحسوس اصطدم بالمقاومة البائسة من قبل « مارا [١] الماكر » ، الذي لجأ محافظة على مملكته ، إلى مهاجمة « غوتاما » ، بارهاقه بالظلمات ، وامطاره بالصخور ، والأسلحة ، والجمر الملتهب ، والرماد الحار ، والوحل . فهربت الآلهة مرتعبة ، تاركة « غوتاما » يواجه غضب عدوه ، غير ان « غوتاما » تمكن في النهاية من الانتصار . لقد استثار ضد جيش « مارا » شهادة الأرض ، متمماً بذلك الحركة التي ستصبح حركة الاشراق . فقد لامس بيده اليمنى ، وراحتها منقبضة الأرض ، متأكداً بذلك من مساعدة القوى الأرضية له : « عندئذ وعندما شاهد جيش الآلهة ، جيش « مارا » يلوذ بالفرار ، بدأ يصرخ : « مارا » هزم ! وانتصر الأمير « سيدهارثا » (Siddhartha) ! لنحتف بالنصر ! . وبدأت الافاعي تتزاحم مع الافاعي ، والعصافير مع العصافير ،

---

(١) يمثل اله الشرور :

والآلهة مع الآلهة : وآلهة « براهما » السماوية مع آلهة براهما السماوية : يحملون العطور ، وأكاليل الزهر ، والتقدمات الأخرى في أيديهم إلى « الرجل الكبير » الجالس على عرش الحكمة » .

وخلال الليل الذي قضاه جالساً قرب جذع الشجرة ، توصل إلى الاشراق ، فها هو قد تخلص منذ ذلك الوقت من الحلقة اللامتناهية من الولادة والموت ، من « السامسارا » ، لأنه عرف كيف يبعد وشاح « المايا » وانتقل « غوتاما » من « بوذيساتفا » أي « المرشح »، لرتبة بوذا إلى الرتبة السامية : « بوذا » أي « المشرق ، المستنير » وخلال سبعة أسابيع بقي مقيماً عند الشجرة يتمتع بسعادة الاشراق . ولكن تلك المدة كانت في الوقت نفسه ، مهلة منحها لنفسه قبل أن يحرك دولاب الشريعة ، عن طريق نشر عقيدته . كان عليه أن يتغلب على اغراءات قوية ، « فمارا » أرسل أكثر فتياته فتنة يرقصن رقصات مثيرة أمام بوذا ، محاولاً للمرة الأخيرة منعه من البوح بشريعته إلى الناس الآخرين، غير ان فتنتهن تبخرت أمام صفاء نظراته .

العقبة الأكثر جدية التي قامت في طريقه كانت شكوكه الخاصة ، فتلك الحقيقة التي انتهى فوراً من اكتشافها ، أليست

صعبة الفهم بالنسبة إلى طبيعة بشرية « ترى أقامتها ولذتها في لجة العالم ؟ » أليس من الأفضل الاستفادة فوراً من الخلاص عن طريق « النيرفانا » ؟

« ماذا ينفع أن أكشف للعالم ما توصلت إلى الفوز به نتيجة نضالات متعبة .

« الحقيقة تبقى خافية على الذي تملؤه الشهوة والحقد .

« انها شيء يساوي تعباً ، مملوء بالأسرار ، عميق يخفى على الفكر الفظ .

« لا يستطيع أن يشاهده من تغلف روحه أهواء أرضية بالظلمات » .

ولكن نزولاً عند الدعوات المتكررة من قبل براهما الذي أقنع بوذا بأن يبشر بعقيدته بين « المخلوقات الذين تخلصوا من الحمأة الأرضية » ، والذين لن يجدوا الخلاص بدونه ، تخلى هذا الأخير عن شكوكه ، وخاصة أنه اكتشف فيها شيئاً من الأنانية :

« لينفتح أمام الجميع باب الخلود
« ليسمع من له أذنان ، وليؤمن

« لقد كنت أفكر ، بألمي الخاص ، ولهذا السبب ، يا براهما .

« لم أبح للبشر بالكلمة النبيلة » .

كان ذلك في ميدان الغزلان في « ريشيباثانا » حيث وجد بوذا من جديد الرهبان الخمسة رفقاءه القدامى ، عندما القى محاولته التبشيرية الأولى ألا وهي موعظة « بيناريس » الشهيرة ، المحتوية على الحقائق الأربع المقدسة عن العذاب ، وأصله وتوقفه ، والطريق الموصل إلى ذلك ، والتي تضمنت فيما بعد جميع تعاليم بوذا . لقد كان بلغ الخامسة والثلاثين من عمره عندما حل به الاشراق ، فراح يقضي السنوات الخمس والأربعين المتبقية ، لدخوله إلى « النيرفانا » نهائياً ، في نشر دعوته، « الذارما » (Dharma)، وفي أثناء الفصل الجاف كان يعيش متجولاً يتبعه مريدوه ، وعندما كان فصل الأمطار الممتد من منتصف حزيران إلى منتصف تشرين الأول ، يجعل التنقل صعباً ، كان يقبل من أجله ومن أجل حاشيته ضيافة علماني غني ، أو يقيم في واحد من الميدانين المدعوين « الفيلوفانا » و « البيتافانا » اللذين قدما له هبة من قبل المعجبين به .

وما من شك في أن التأسيس التدريجي لأخوية « السانغا »

المؤلفة من الرهبان المتسولين « البيكشو » شكل الخط المميز لعقيدته . ان بوذا لا يتوجه إلا في النادر جداً إلى العلمانيين ، إذ للوصول إلى « النيرفانا » التي هي الهدف الأسمى لتعاليمه ، يبدو له من الضروري قطع الصلة مع العالم الاجتماعي ، بالامتثال إلى قوانين الرهبنة الصارمة . وبما أن « البيكشو » خارج عن كل انتساب إلى طبقة اجتماعية ، فهو ليس خاضعاً لقوانين الطبقة التي كان ينتسب إليها قبل قبوله الدعوة ، و « الذارما » التي تحكم حياته ، تضعه خارج وفوق كل تمييز اجتماعي . وهكذا فبوذا لا يتأخر عن فتح أبواب أخويته أمام أعضاء أدنى الطبقات الأربع أي طبقة « الشودرا » « الخدم » .

هل يجب أن نستنتج من ذلك أن بوذا كان نوعاً من الثوريين الراغبين في وضع حد نهائي لنظام الطبقات ؟ من الأكيد بالنسبة إليه ان خط التقسيم الرئيس لا يفرق بين الطبقات ، بل هو يمر بين الرهبان والعلمانيين ، بين الذين بسبب التخلي المطلق ، يستطيعون أن يأملوا بالدخول مباشرة إلى « النيرفانا » والذين لم يعرفوا بعد أن يتخلصوا من أوهام هذا العالم . ولكن من الصحيح أن الأولين لا يشكلون إلا طائفة واحدة ذات تسلسل قائم على أساس روحي ، أي محدد

فقط بالتقدم الحاصل بدرجات متفاوتة على طريق الخلاص ، فلا يبقى بالنسبة للآخرين ، كما يرى بوذا إلا أن تستمر الطبقات لتشكل الاطار الضروري للحياة الاجتماعية ؛ فالطبقات إذن لا تعتبر كمؤسسة تفرض عليها الصفة الالهية الاستمرار ، بل تعتبر على الأرجح بمثابة نوع من السلم حيث الكائنات الحية المحكومة بالتوالد المتتابع ، تصعد وتهبط تبعاً لأعمالها الخاصة : « للكارما » خاصتها ، إلا أن تلك وجهة نظر سبق أن عبر عنها في « الأوبانيشاد [1] » « العمل الذي يقوم به الانسان ، يحدد وجوده في المستقبل »

غير أنه من المسلم به ، أن بوذا لم يكف عن مهاجمة تعالي البراهمة وجهلهم . وهو لا يتبنى مركز البراهمة القدامى ومعرفتهم إلا لكي يفضح بقوة أكبر الانحطاط الاخلاقي والثقافي لبراهمة عصره ، الذين يكتفون بحمل هذا اللقب الذي ورثوه ارثاً . والعالم المختص بالأمور الهندية المشهور « غلازناب » (Glasenapp) يجد في ذلك صدى لصراع

---

(١) اتجاهات فلسفية نشأت خلال الفترة ٦٠٠ — ٥٠٠ قبل المسيح ، وهي تبشربوحدة الوجود ، أي ان الله والطبيعة شيء واحد وان الكون المادي والانسان ليسا إلا مظهرين للذات الالهية . « المعرب »

النفوذ الذي كـان يفصل بين طبقة البراهمة ، وطبقة « الكشاترية » (Kshatryas) التي كان ينتسب إليها بوذا .
وقد بدأ الطعن بسيطرة البراهمة ، منذ أن بدأت في الهند الحضارة المدنية تتفوق على الحضارة الريفية القديمة . ولكن بقدر ما كانت الارستوقراطية الممارسة من قبل البراهمة تستند أساساً إلى تقديم التضحية ، فان من الواضح البديهي أن بوذا الباحث عن الخلاص لا في وفرة القرابين والطقوس ، بل في المعرفة وحدها ، لم يكن يستطيع إلا أن ينسف أساسها ، وإذا كانت معاداة البرهمية غير ظاهرة بوضوح فهي كافية في منطق عقيدته نفسها :

وانطلاقاً من الصورة الخاطئة لبوذا المصلح الاجتماعي ظن « أرنست رينان » أنه يحدد بدقة ، ان مريدي بوذا كانوا يأتون من الطبقة الدنيا ، ولكن إذا شئنا أن نحتكم إلى حوادث قبول الدعوة التي حفظ التقليد ذكراها ، آخذين في الوقت نفسه بعين الاعتبار محاولته زيادة بريق واقع هو دون شك أقل لمعاناً ، فانه لا بد أن نؤكد على المستوى المرتفع ، للذين ارتضوا ، كي يتبعوا بوذا ، أن يرتدوا الثوب الأصفر الخاص — « بالبيكشو » ، ودون أن نتحدث عن أعضاء أسرته نفسها مثلاً : زوجته « غوبا » (Gopa) ، إبنه « راحولا » ،

خالته « ماها ــ براجاباتي » ، وابن عمه « آنندا » الذي كان تلميذه المفضل ، يمكن أن نذكر عدداً من مريديه من بين البراهمة أمثال « شاريبوترا » و « مودنماليبايانا» ، ومن بين التجار الأغنياء مثل « اناثا بينديكا » مالك ميدان « بيتفانا » الذي وهبه إلى بوذا ، وقد سانده بعض الملوك مثل « بيبيزاتا » الذي كان ملكاً على « ماغادا » وولده : « آجاتا شاترو » ، وكذلك « برازيناجيت » ملك « كوزالا » . وإذا كان صحيحاً أن بوذا لم يتردد من أن يمنح درجة البرهمة إلى جميع الذين ذهبوا حتى التجرد الكامل مهما كان أصلهم الطبقي ، بتأكيده قائلاً : « ان الفقير ، المجرد من كل شيء ، العاصي على الخوف ، ادعوه برهمياً » ، فيبقى أنه يبشر في الواقع بمثال أعلى في الأساس ارستوقراطي وغريب عن « الجمهور الأمي » .

ومعاداة المرأة لدى بوذا مثلها مثل معاداة البرهمة ، تنطلق أيضاً من الأسس نفسها لعقيدته . فالوهم الذي يجعلنا أسرى ، الا يجد سنده الأثبت في الأنثى والجاذب الجنسي الذي تمارسه نحونا ؟ فهي التي تضمن استمرار الحاقة الرهيبة للولادة والموت ، باعتبارها مصدر كل كائن . ولا يكف بوذا أيضاً عن تحذير مريديه من الاغراء الماكر الذي تمارسه

المرأة ، يقول لهم موصياً : « يجب الحذر من النساء ، فتجاه واحدة حكيمة ، يوجد أكثر من الف مجنونات وخبيثات ، المرأة أكثر سرية من الطريق الذي تمر بها السمكة في الماء ، انها مفترسة مثل الشقي ، ومحتالة مثله . ونادراً ما تقول الصدق ، فالحقيقة بالنسبة إليها شبيهة بالكذب ، والكذب شبيه بالحقيقة ، غالباً ما نصحت المريدين بتجنب النساء » .

ولم يقبل بوذا بادخال الراهبات إلى الرهبنة إلا بعد تدخل حماته « ماها – براجاباتي » تكراراً ، مضافاً إليه الحاح « اناندا » . ومع ذلك لم يقبلهن عن رضى تام ، وفرض عليهن ثماني قواعد قاسية جداً تجعلهن في حالة دائمة التدني بالنسبة إلى الرهبان ، لقد غامر بوذا بقبول مخاطرة يعرف أنها ستكون قاتلة بالنسبة إلى عقيدته . يقول « يا اناندا . لولا ان النساء لم يهجرن حياة المنزل ، إلى الحياة التي بدون ملجأ تحت حكم الشريعة والمسلكية المنصوص عليهما في « التاثاغاتا » لكان الدين استمر وقتاً أطول . لقد عاشت العقيدة الجيدة الف عام . ولكن يا اناندا ، بما أن النساء الآن قد هجرن الحياة المنزلية إلى الحياة التي بدون ملجأ تحت حكم الشريعة والمسلكية المنصوص عليهما في « التاثاغاتا » فان الدين لن يستمر طويلاً . والعقيدة الجيدة ، يا أناندا لن تعيش الا خمسماية عام »

وفي « كوزينارا » المدعوة اليوم « كازيا » في مقاطعة « غوراخبور » لفظ بوذا وكان قد بلغ الثمانين من عمره أنفاسه الأخيرة ، بعدما القى على مريديه تعاليمه الأخيرة . وهكذا فان الدخول في مرحلة ما قبل « النيرفانا » أي الانطفاء الفعلي ، أنهى خمساً وثلاثين سنة من الدعوة حلت بعد يقين بالخلاص كان لا يزال معلقاً، يدعى ببساطة النيرفانا . وفي المسافة الفاصلة بين العبارة الأخيرة ، والعبارة الأولى أتى فيما بعد عمل البوذيين الانقاذي ، وهو مفهوم ديني شبيه إن لم نقل مطابق لمفهوم شفاعة القديسين ووساطتهم .

وعلى غرار جميع المراحل الهامة من حياة بوذا ، فان موته مثالياً ، فهو يحمل درسين أساسيين : من جهة يربط في شخصه الموت الذي يحزن الأقربين ، والخلاص المعد كعزاء ، ويظهر بوذا بهذه الأمثولة الرائعة الأساس الصحيح لعقيدته . قال موجهاً كلامه إلى مريديه الذين كانوا يبكونه « والآن ، أيها « البيكشو » ، استأذنكم . كل عناصر الخليقة عابرة مؤقتة ، اعملوا من أجل خلاصكم بعناية » .

ومن جهة أخرى ، فان الموت كشف أن العقيدة لا تذوب اطلاقاً في الذي يشربها ، فبوذا الحريص على ضمان استمرارية تلك العقيدة ، أدان مسبقاً كل محاولة للاقلال منها

بتمجيد ذكرى مؤسسها تمجيداً مبالغاً فيه ؛ لم يكن يقصد أن يترك لطائفته الها يعبد ، بل معرفة تكتفي بنفسها دون اللجوء إلى مطلق ، يقول موضحاً لتلميذه المفضل : « يا أناندا، يمكن ان البعض من بينكم يفكر كما يلي : كلام المعلم شيء من الماضي ، لم يبق لنا معلم ، ان في ذلك يا « أناندا » رأياً غير صحيح ، العقيدة والمسلكية يا أناندا اللتان علمت بهما واللتان فرضتهما عليكم يجب أن تكونا معلميكم عندما لا أكون اطلاقاً » .

وصية ضرورية جداً من أجل صفاء العقيدة بقدر ما هي عقيمة ، إذ ان روحية هذه العقيدة ، كانت تتطلب كي لا تتخلى عنها جماهير المؤمنين ، مزيداً من تمجيد مبدعها . غير ان تطور البوذية اللاحق ارتسم منذ الاحتفال بالجنازة ، فتحت اشراف « أناندا » ، أحرق جثمان بوذا وسط مراسيم ملكية ، وأودعت بقاياه لدى أمراء ونبلاء ، وحفظت في نصب تذكارية تحمل اسم « اسطبات »[1](Stupas) . وهكذا كان للبوذية منذ وفاة مؤسسها الوسائل والأمكنة المناسبة لولادة عبادة جديدة ، وديانة خاصة .

---

(١) وهي نصب على شكل اهرامات. « المعرب »

فلسفة بوذا

الفكرة الأساسية لبوذا غارقة في خضم من النصوص والتقاليد يؤكد اختلافها وجود المركبات الثلاث جنباً إلى جنب ، وهي : المركبة الصغرى ، والمركبة الكبرى ، والمركبة الطنطرية وكلها تدعي الوحدة ، رغم وجود خلافات عميقة فيما بينها . كما ان في بذور أبحاثه يتناثر عدد كبير من الحصى مما يجعلنا نيأس في بعض الأحيان من قدرتنا على تلافيها وتنقيتها . نلاقي في أول الأمر عقبات ناتجة عن الاختلال الحاصل بين التقاليد الشفهية والتقاليد المكتوبة . وشكل المواعظ المنسوبة إلى بوذا يحمل السمة التي لايمكن محوها لذلك . وان التكرارات المملة ، والسجع ، والترقيمات التي لا تنتهي ، التي تشكل عبئاً عليها في غالب الأحيان ، تبدو أنها تشكل وسائل يستخدمها الرواة لتجنيب ذاكرتهم الوقوع في

أغلاط محتملة . أكثر مما تبدو نقاط انطلاق لخطيب راغب في وضع هيكلية لفكره . أما بالنسبة إلى محتوى تلك المواعظ فهولا يقل عن شكلها موضوعاً للنقاش . ومهما كان الاحترام الذي تحاط به أقوال بوذا منذ وفاته . فانه لا يبدو من المعقول أنها لم تتعرض لتحريف تدريجي . إذ لا يوجد هنالك أي يقين . والتطابق التام لا يمكن التسليم به . مما يفرض علينا أن نبقى في نطاق افتراضات على قدر متفاوت من الصحة .

ولكن من الخطأ . بعد ابراز هذه التحفظات ، اللجوء إلى البحث حسب المزاج ، وإلى الاختيار . والتحيز انطلاقاً من وحي الترجيحات الايديولوجية أو الدينية ، الشخصية . ان كل رؤيا للبوذية الأولية يجب أن تبقى ضمن الحدود المرسومة من قبل الشريعة التي كتبت في « بالي » (Pali) ، حيث انعقد المجمع الثالث الذي اقتصر الاشتراك فيه على البوذيين الأرثوذكس المدعوين القدامى « ستافيرا » (Sthaviras) ، وكان عقده حوالى سنة ٢٤٥ قبل المسيح في « باتاهيبوترا » (Pâtaliputra) العاصمة الجديدة للامبراطور البوذي الشهير « آشوكا » (Açoka) . في ذلك المجمع وضعت للمرة الأولى النصوص المقدسة التي تضمنتها فيما بعد شريعة « بالي » . ولم يلجأ إلى كتابتها للمرة الأولى إلا بعد مرور

قرنين على ذلك التاريخ . وتوضح التقاليد أن تدوينها كتابة بدأ في سيلان، زمن الملك «فاتاغاماني» (Vattagamani) غير ان هذا التدوين استمر حتّى القرن السادس بعد المسيح .

وكتاب الشريعة نفسه ينقسم إلى ثلاثة أقسام : (سلات) « تريبيتاكا » (Tripitàka) . القسم الأول يتناول السلوك (فينايا » (Vinaya) ، ويتضمن التعليمات المتعلقة بحياة الرهبان وتنظيم أخوية الرهبان (سانغا Sangha) ويتناول الثاني جميع تنبؤات بوذا «شوترا» (Sutra). أما الثالث « ابيذاما » (Abhidhamma) فيتضمن بشكل دوغماتيكي تعاليم بوذا . وباعتباره أحدث من الآخرين فهو لا يستخدم إلا كمرجع من قبل من يريد أن يصعد حتّى منبع البوذية نفسه .

وبين النصوص ، غير الواردة في كتاب الشريعة . التي تعرض تعاليم بوذا الأولية . يجب أن يخصص مكان للميليندابانها (Milindapanha) (أي أسئلة ميليندا) . فميليندا (ميناندر) الملك اليوناني الذي اعتلى عرش «باكتريانا» من سنة ١٢٥ إلى سنة ٩٥ قبل المسيح ، استدعى إلى قصره راهباً بوذياً يدعى « ناغازينا » (Nagasena) ويتضمن الكتاب مختلف المحاورات التي اتاحت للراهب أن يجيب عن الأسئلة جميعها التي وجهها الملك إليه والمتعلقة بالبوذية .

واهتداء الملك على اثر ذلك . .

غير ان الاقتصار على كتاب شريعة « بالي » ، والكتابات الأخرى الواردة في المركبة الصغرى ، يؤدي إلى خطر ان لا نطلع من رسالة بوذا ، إلا على الأفكار المجردة ، وبنوع ما المتصلبة . وبدون شك ، ان فقدان كل نظام فيها ، ونوعاً من عدم التناسق الفلسفي ، الخاصين بفكر بوذا هما اللذان يولدان ميلاً واضحاً نحو القواعد المرسومة بتثاقل وسلسلة التفصيلات المتصلة بها . وهكذا حصل الرأي القائل انه إذا كانت المركبة الصغرى أمينة حرفياً لتعليم بوذا ، فان المركبة الكبرى تمثل الروح الحقيقية لذلك التعليم . مما يحمل على الاستنتاج ، أننا إذا أردنا النفاذ حقيقة إلى الفكر البوذي الأصيل ، يكون من المناسب تذويب كل من المركبتين الواحدة في الأخرى وأن نكوّن من عناصر مستمدة من كلتيهما نوعاً من التوفيق .

إلا أنه يبدو أن الأسلوب الأكثر بعداً عن المغامرة ، هو ان نضع في المحيط التاريخي المناسب ، أفكار بوذا التي يمكن استنتاجها مسبقاً من كتابات المركبة الصغرى . فالأديان كالفلسفات تتشابه ، في الواقع ، مع الأبنية ، ولا يمكن تفهم هندستها إلا إذا اطلعنا على أسسها التحتية التي هي بطبيعتها

خافية على النظر . اننا إذا نقبنا في تحتية كتب بوذا ، اكتشفنا العامودين الأساسيين اللذين تستند إليهما .

فكرة بوذا تنطلق من علاقة مزدوجة « للآتمان » مع « البراهمان » ، و « الكارما » ، وهي العلاقة التي وضعتها البرهمية . أو على الأصح تنطلق من التناقض الداخلي الذي يميز تلك العلاقة والذي يجعلها في النهاية غير مقبولة بالنسبة للذي يبحث عن الخلاص بإخلاص . يمكن تفسير البوذية بصفتها حركة اصلاحية من خلال النظام الفكري الذي تركه .

« الآتمان» (Atman) ، يمثل الذات الموجودة داخل كل مخلوق ، وبواسطتها يشارك مع العام . انه ليس مفهوماً نفسانياً بل هو مفهوم ما ورائي . والآتمان الذي هو أبعد من أن يناسب أي وعي فردي يمكن أن يكون ضماناً لاستقلالية جذرية لدى الفرد ، لا يتكون إلا في علاقة دائمة مع الكائنات والأشياء جميعها . ويمكن أن نعبر حينئذ عن معنى تلك الكلمة إذا ترجمناها بما يلي : الروح الفردية .

و « البراهمان » تعني أول ما تعني ، العبارة المقدسة التي كانت ترافق عملية تقديم القرابين . ولكن شيئاً فشيئاً ،

تحولت إلى قوة مستقلة أصبحت بعدما كانت في خدمة الآلهة ، سيدة الآلهة . وتأملات البراهمة تجعل منها الكائن الوحيد الذي لا سبب لوجوده ، المطلق ، الكلي العلم . وبالنسبة إلى «الآتمان» الروح الفردية ، وعلى هذا الأساس ، ينفتح المجال أمام التعددية التي لا حصر لها ، للكائنات أي الروح العامة حيث تختفي كل تعددية .

«آتمان» و «براهمان» ليسا معتبرين كمفهومين متوازيين ، أو متكاملين ، بل كمفهوم واحد وحيد ، التطابق بين «الآتمان» و «البراهمان» (براهمان — ميكيا) يشكل الأساس الرئيس للأعجوبة البرهمية .

ان «الآتمان» المنبثق من «البرهمية» يطمح بجميع قواه إلى العودة إليها من جديد . «الآتمان» هو الشرارة التي تنطلق من نار لتعود فتسقط فيها حالاً . تقول : الاوبانيشاد «هي ذي الحقيقة ! كما من النار المشتعلة تنطلق آلاف الشرر الشبيهة بها ، هكذا من الكائن الخالد تولد جميع أنواع المخلوقات التي تعود إليه» . ان يقين كل «آتمان» بولوجه إلى داخل «البراهمان» معبر عنه بالجملة المشهورة الموجهة إلى كل مؤمن : «تات تفام آزي» (Tat tvam asi) ومعناها : «انت أيضاً ، هو» .

ولكن إذا كان « الآتمان » مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالبراهمان مما يجعله مستحقاً للوعد بخلاص ممكن دائماً ، فان خضوعه لقانون « الكارما » القاسي ليس أقل ، و « كارما » عبارة كانت تدل أول ما دلت على فعل التقدمة ، ثم أصبحت بعد ذلك تدل على كل عمل ذي صفة صاعدة ، أو بعبارة أصح أيضاً ، على المحاسبة الصارمة على جميع الأعمال الصالحة والطالحة . ان هذه الجبرية « الكارمية » لا تطبق على حياة واحدة ، بل على عدة حيوات متتابعة . انها العنصر الذي يربط وجوداً بآخر ، انها القوة العاتية التي لا تنتقص والتي تعتقل الآتمان في سجن تجسده لحماً ودماً ، وتفرض عليه . كي ينطلق بكليته ، الانتقال الدائم (سمسارا Samsara) . أي الدورة اللامتناهية للولادة والموت أي تلك الحياة التي تبدأ من جديد إلى الأبد والتي رمزها عبارة عن دولاب يدور بدون انقطاع ، أو حركة الأمواج الأبدية .

وان تلك العبودية المفروضة على الجنس البشري ، بالنسبة إلى حيواته السابقة ، تخيف الهنود الذين يفكرون بالولادة من جديد أقل مما يفكرون بالموت من جديد الذي تتضمنه . ويزعم البراهمة أنهم يداوون ذلك باخضاع « الكارما » إلى فعالية الطقوس التي يمارسونها . غير ان العجرفة التي تتملكهم من

احتكارهم لمعرفة «الآتمان – البراهمان» ، والامتيازات التي يتمسكون بها لانفسهم حتى درجة المبالغة ، جعلت منهم وسطاء لا يقتنع بهم الناس كثيراً ، وما من شيء يمنع التناقض الأساسي بين العقيدة المتفائلة الأصيلة للآتمان – البراهمان التي هي من أصل آري دون شك ، والعقيدة التشاؤمية في جوهرها « السامسارا » المنبثقة من الاعتقادات الشعبية ما قبل الاجتياح الآري ، من أن يؤدي إلى دك الممر الواهي الذي أقامه البراهمة فيما بينهما . كيف يمكن توفيق التسلسل القاسي للأسباب والمسببات الذي تقول به «الكارما» مع الامكانية المتاحة للمؤمن ، للتوصل ، بفضل البرهمة كل برهة وخارج كل سببية ، إلى الوحدة مع الروح الكونية ؟ وفوق ذلك ، فان الوحدانية البرهمية تتعارض أساساً مع تعددية الحيوات التي تدعو إليها « الكارما » .

يعود الفضل إلى بوذا في وضع حد نهائي لهذا التركيب الخاطىء ، الذي إذا كان يضمن سيطرة البراهمة فهو يترك المؤمنين عرضة لأهوال الحلقة الشيطانية للولادة والموت . فبوذا لم يجد في الآتمان – برهمان ما يصلح النفس ، أو دواء للسامسارا ، بل قدر بالعكس ان اتحاد النفس الفردية مع النفس الكونية يساوي الامتناع عن كل رجاء في خلاص حقيقي . انه يرفع

نوعاً من قدر « الكارما » ، بانتزاعها من سيطرة الطقوس ليجعل منها القيمة الجبرية الصحيحة للأعمال الشخصية .

أما التوازن الواهي الذي حفظت فيه « الكارما » حتّى ذلك الوقت بين « البرهمان » و « الآتمان » فقد وجد نفسه مختلاً اختلالاً مضاعفاً بسبب ذلك . ان فكرة نفس كونية ، تستخدم كملاذ ضد الآلام التي تحدثها « الكارما » ، أصبحت ابتداء، من ذلك الوقت، غير ممكن الاحتفاظ بها ، بينما ان فكرة نفس فردية ، محرومة من نفس كونية تتركها معلقة ، انتهت إلى أن تمتصها « الكارما » . وان سكوت بوذا ، في الواقع ، قد اجتاح كل مضاربة روحية ذات علاقة سواء بمبدأ كوني أبدي أم بفكرة نفس فردية .

غير انه سيكون من الخطأ لدى رؤية ذلك القباب المزدوج، التحدث عن بوذية ملحدة ومادية . من الأكيد ، ان لا إله يتدخل في مسيرة « الكارما » ، فالمؤمن البوذي لا يستطيع الاعتماد على مكاشفة ترفع عنه كل شك حول موضوع ايمانه ، ولا على رحمة ما ، تعفيه من أن يتحمل إلى النهاية كل مسؤولية عن تصرفاته ، انه وحيد أمام جوابه الخاص . غير ان نية بوذا لم تكن تأسيس ديانة قادرة على الجواب على جميع الاهتمامات ، وعلى جميع التساؤلات التي يطرحها البشر ،

وإنما كانت تسهيل الطريق امامهم ما امكن للحصول على الخلاص مما جعله يبعد عن طريقهم كل ما يمكن أن يؤدي إلى تأخيرهم عن السعي وراء ذلك الخلاص . لقد ظهرت له المضاربات الماورائية كأحجار عثرة ، إذ انها ليست زائدة فقط لا طائل تحتها ، بل هي في نهاية الأمر مؤذية مضرة . هل نحن بحاجة في هذا المجال إلى التذكير بتلك الصفحة المستخرجة من « الساميوتّا – نيكايا » (Samyutta–nikâya) (مجموعة متعددة الألوان) التي هي جزء من « السلة » الثانية أي «سلة » تنبؤات بوذا ، جاء فيها : « يوماً ما كان « البار » مقيماً في « كوزامبي » ، في غابات أشجار « السينسابا » (البليساندر) ، فأخذ في يده بعض أوراق من البليساندر وقال للرهبان : ماذا تظنون ؟ أيتهما أكثر عدداً تلك الكمية المؤلفة من بعض الأوراق التي أمسكها بكفي ، أم الكمية كلها من الأوراق الموجودة في الغابة ؟ – بضع الأوراق هذه أيها المعلم ! التي يمسكها البار في يده قليلة ، وأكثر منها بكثير الأوراق جميعها في الغابة.– كذلك، أيها الرهبان ! ان ما اكتشفته ولم أشرحه لكم أكثر بكثير . من القليل الذي شرحته لكم ، ولماذا لم أشرحه لكم ؟ لأن ذلك لا يؤدي إلى أية فائدة ، ولا ينفع في سبيل التخلي ، ولا يؤدي لا إلى الاشمزاز (من العالم) ولا إلى الانفصال ، ولا إلى هدم (الهوى) ، ولا إلى السلام ، ولا

إلى المعرفة . ولا إلى الاشراق : وإلى لا « النيرفانا » . ولهذا لم أشرحه لكم : ماذا شرحت لكم إذن ؟ الألم ، وأصل الألم ، وطريق القضاء على الألم ، ذاك ما شرحت لكم . لماذا ؟ لأنه مفيد ، ، لأنه يقود إلى « النيرفانا » .

ولكن بعدما صار رفض منح البوذية الأولية صفة الدين . سيكون من الخطأ أيضاً تقليصها إلى حدود فلسفة بسيطة . لأنها قبل كل شيء لا تقدم بوضوح نظاماً فلسفياً مكوناً بشكل كامل . ولا سيما لأنها تتناول بالعكس معرفة عملية في غاية الكمال . معرفة تلجأ مع محاولتها البقاء خارج كل تأمل كهنوتي ، إلى تحريض المؤمن على اتباع طريق ما ، أي طريق الخلاص . وذلك هو أيضاً دون شك تحديد « الوادي — الصوص » ، الذي يرى ان البوذية مسلك ؛ أي طريقة من السلوك معتمدة من قبل أعضاء طائفة تقف على منتصف الطريق بين ديانة ، وفلسفة وتعكس على أفضل ما يكون الصفة الخاصة لتفكير بوذا .

هل يجب التذكير ان عظمة البوذية ، كما انحطاطها يمكن أن نعزيهما بسهولة إلى « لاأدريتها » ؟ فكل مسلكية يمكن أن تجد لها مكاناً في أي اطار ديني ، وان الانتشار الهائل للبوذية في آسيا يمكن تفسيره دون شك بذلك التساهل الخاص الذي

يميزها ،وباعتبار أن لا طقوس فيها . فمن السهل لها أن تقبل الجميع . ولكن بما أنها عاجزة بحد ذاتها وحدها عن أن ترضي الحاجات الدينية للنفس البشرية ، فقد انتهت إلى السقوط في الهند ، رغم أن هذه البلاد مسقط رأسها ، إلى نوع من التقاليد البرهمية أغنيت في الواقع بمعطيات بوذية ، بينما في الصين واليابان لم تعش إلاضمن توفيقية واسطة .

ان بوذا بصبه فكره ،في قالب الحقائق الأربع المقدسة ، يأخذ من جديد موقفاً كان قدباوره الفيدايون (Védas) (١٥٠٠ — ١٠٠٠ قبل المسيح) يقول : بعد المعاينة الطبية ، يأتي العلاج الطبي ، وبعد تعيين المرض وسببه ، يقدر الطبيب امكانية الشفاء ،ويحدد العلاج. والحقيقة المقدسة الأولى تكمن بشكل كامل في هذا التصميم الموضوع لتحديد المرض . « أيها البيكشو إليكم الحقيقة المقدسة عن «الدقة» (Dukkha) الولادة « دقة » ، الشيخوخة دقة ، المرض دقة ، الموت دقة ، الافتراق عمن نحب دقة ، عدم الحصول على ما نرغب دقة ، وبالاختصار ان المجاميع الخمسة للارتباط دقة » .

من البديهي ان ما يقصده بوذا بكلمة « دقة » هو العمق المؤلم الذي تدور عليه الحياة،وترجمة تلك العبارة بالألم ، بالعذاب ، بالشفاء، يمكن أن يعرضها لتعليل خاطىء . ليس

الألم الذي نحس به عن طريق تجربة الوجع هو الذي يحكم العالم ، بل على الأرجح ان ما يتحكم به هو شعور بالحرمان من الحق يأخذ بنا لدى رؤية عالم ليس مماثلاً لنفسه ، يشبه دولاباً يدور بحركة لا تضعف سريعة ، إلى درجة يصبح معها من المستحيل ادراكه .

ولهذا السبب لا يمكن عزل « الدقة » ، فهي تشكل جزءاً لا يتجزأ من الوجود نفسه ، الذي من جهته ، يحمل الخاتم المزدوج لعـــدم الاستمرارية (انيتيا) ، ولنفي الذات « اناتمان » . هل يجب التذكير أن الفرق الأساسي بين البرهمية والبوذية يكمن هناك ؟ إذا كانت البرهمية تعلم أيضاً ان العالم في تعدديته المادية وهم ، فهي لا تفعل ذلك بالنهاية إلا لكي تستخرج على وجه أفضل،أهمية تلك الوحدة الكونية والخالدة التي هي : البراهمان . أما البوذية ، فهي على العكس ترفض حتى المطلق ، ولا يترك بوذا أي مجال للشك بالنسبة إلى هذا الأمر . يقول موضحاً : « أيها المؤيدون ، من الأفضل أن تأخذ من أجل الذات الجسد المادي أكثر من الروح ، لأن الجسد يبقى وقتاً ، بينما التي يسمونها روحاً تحصل وتختفي في تغير أبدي » .

وإذا عدنا إلى الحقيقة المقدسة الأولى ، لوجدنـا ان

الاستمرارية (انيتيا) ، المصدر الرئيس «للدقة» . لا تدل فقط على التتابع المستمر لمختلف الحالات مثل الولادة . والشيخوخة ، والمرض ، والموت بل تظهر أيضاً في الطبيعة العابرة أساساً لكوننا هذا . ان الشيء الذي نحبه ، يهرب منا كلما أملنا الحصول عليه . وكلما حاولنا التخلص من الشيء الذي نشمئز منه ، كلما بقينا متعلقين به . أمانينا مثل أحلام تهرب منذ أن نبدأ بمطاردتها .

اللااستمرارية (انيتيا) . مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنفي الذات (اناتمان) ، فعملية تذويب العالم في سلسلة غير منقطعة من المظاهر المختلفة التي لا تبدو أنها متناسقة بعضها مع البعض الآخر . تتضمن بحد ذاتها نفياً لكل واقع أساسي يمكن أن يدرك سواء عن طريق التفكير بواسطة بعض المفاهيم وسواء عن طريق التجربة المباشرة . وبالنسبة الى بوذا لا يوجد إذن جوهر ، تكوّن الكائنات حجرات مؤقتة له.والذات لا تستند إلى أي مطلق . وهي غير موجودة إلا في التجريد الصافي . ولكي يجعل ، الملك «مياندر» يفهم غياب كل شخصية ذاتية ، استخدم الراهب «ناغازينا» رمز العربة : أليست عربة كلمة بدون أي محتوى حقيقي ؟ إذ ان الأمر يتناول في الواقع عربة مركّبة . كل شيء فيها، مثل الانسان .

ليس إلا مزيجاً من العناصر الطبيعية والنفسية . الخيول تقابل الحواس، والأعنة تمثل اجهزة الرقابة ، والسائق يقوم بمهمات الفكر .

وتلك اللاماهية للذات : التي مضافة إلى اللااستمرارية الكونية تشكل « الدقة » ، تبدو قابلة الملاءمة للدخول إلى مجال رؤية « الكارما » ، أي مجال رؤية عمل تنسحب آثاره على عدة أجيال . كيف يمكن في الواقع توقع مسؤولية ما دون اللجوء إلى سند جوهري؟ عقيدة «السامكيا» (Samkhya) التي نشأت دون شك معاصرة لعقيدة بوذا ، تقترح فيما يتعلق بهذه المسألة المتعذرة الحل ظاهرياً حلاً عبقرياً . فانطلاقاً من مفهوم مادة بدائية خالدة تدعى « براكريتي » (Prakriti) تتناثر بتأثير « الكارما » إلى عدد غير محدد من النفوس غير المادية تدعى « بوروشا » (Purushas) ، وتميز تلك العقيدة لدى الانسان الخاضع لجبرية كارمية قسمين : جسداً كثيفاً غايظاً يتحلل عند موته ، وجسداً لا مرئياً ومرناً يشارك المادة، في خلودها ويرافقها من إعادة تجسد إلى إعادة تجسد. اما بالنسبة إلى « البوروشا » فهي ، رغم أنها تخضع إلى هجرات متوالية ، غير خاضعة لقوانين « الكارما » .

وفكرة بوذا تتقولب جزئياً حسب هذا التصميم ، من

حيث أنها لا تربط «الكارما» بجسد مادي ، عناصره منضم بعضها إلى بعض أكثر مما هي متحدة ، وتنفصل نهائياً عند الموت ، أو بنفس فردية نعرف أنها موضوع نفي بقوة ، بل تربطها بنوع من جسد لا يمكن ادراكه ليس بالتأكيد ماهية وجوهراً ، بل هو تيار من القوى والأفكار ، والمشاعر. يوجد جيداً تطابق ما في إعادة التجسد إلى إعادة تجسد، تطابق لا يشبه الماء الراكد للبئر ، بل يشبه النهر الذي لا يفقد شكله رغم ان التيار لا يكف عن حمل الماء الذي يتألف منه ذلك النهر ، تطابق لا يشبه مادة الشمعة ، بل يشبه اللهيب الذي يستمد غذاءه منها ، انه لا يشبه الطفل أو الكهل ، بل يشبه الرجل الذي ينتقل من عمر إلى آخر .

ان غياب الذاتية ، ينسف مفهوم الفرد . ورفض كل مفهوم توحيدي ينتج تفتتاً تظهره الحقيقة المقدسة الأولى تحت شكل « المجاميع الخمسة للارتباط » . وان الانقسام العددي الدقيق جداً بقدر ما هو ثاقب ، للعناصر جميعها التي يتألف منها الانسان ، هو من صميم طريقة بوذا كما هو من صميم طريقه « السامكية » التي يكشف اسمها نفسه عن ميولها ، إذ هو مشتق من كلمة «سمكية» (Samkhyâ) التي تعني : العدد والحساب ، ويبدو أنه جرفها « أي العقيدة البوذية » نحو

براهين على أساس عمليات جمع لا نهاية لها في غالب الأحيان.

المجمع الأول للارتباط يتألف من المادة «روبا» (Rupa) أو على الأرجح ولتفادي كل سوء تفاهم ، الشكل الواقعي والوهمي ، وبعد رفض النفس الكونية والفردية في وقت معاً ، فان بوذا ينفي كل فرق بين المادة والروح . وللوهلة الأولى ان ما يشكل «الروبا» هو العناصر الأربعة : التراب ، والماء ، والنار ، والهواء ، أو على الأصح المظهر الذي تتخذه هذه العناصر بالنسبه لتجربتنا الحسية أي : الصلابة ، الميوعة ، الحرارة ، والحركة . ومن هذه المفاهيم تشتق من جهة : الحواس الخمسة التي تدرك العناصر الأربعة كأشكال مرئية ، وكأصوات ، وكروائح ، وكتذوقات ذات طعم ، وكأشياء قابلة للمس ، ومن جهة أخرى يشتق الذهن الذي يحولها إلى أفكار ، وعقائد ، وخيال .

والاحساسات (فيدانا Vedana) هي التي تشكل المجمع الثاني للارتباط ، فهي ناتجة عن احتكاك الحواس الست ، أعني الأجهزة الخمسة للحواس والذهن مع العالم الخارجي ، وهي اما لذيذة ، واما مؤلمة،واما لا لذيذة ولا مؤلمة . ولنلاحظ مرة أخرى ان الذهن مشابه للقدرات الطبيعية الأخرى ، وان الأفكار غير موضوعة بعيداً عن العالم الخارجي بل هي مرتبطة

ارتباطاً وثيقاً بالتجربة الحسية .

والمجمع الثالث للارتباط يتألف من الادراكات الحسية « ساميجنا » (Samjna) ، وعددها ستة ؛ فهي مرتبطة إذن بالحواس الست ؛ وبالانواع الستة من الأشياء التي تناسبها ، انها تدرك صفاتها وتميزها بعضها عن البعض الآخر .

أما المجمع الرابع فهو الموصوف بالارادة . وهي تختلف جذرياً عن الأحاسيس ، والادراكات الحسية التي تبقى بعيدة عن الجبرية الكارمية . الارادة تبني « الكارما » بالقدر نفسه الذي به بواسطة الحواس الستة، تدفع بالانسان إلى أن يحرك دولاب الحياة بالعمل ، والكلام ؛ والفكر . ومن هنا نفهم بسهولة ، كيف ان مغامرة بوذا ، وتلامذته الفلسفية قد الحت بشكل خاص على أن تنشر مروحة الارادة في مختلف مظاهرها المتعددة ، مما أدى إلى تعداد اثنين وخمسين منها : الثقة ، والحقد ، والجهل ، والتركيز ، الخ ... أليست « الكارما » هي الحجر القفل لقنطرة البوذية .

المجمع الخامس والأخير للارتباط هو الوعي (فيجنانا). ومرة أخرى نجد أنفسنا مساقين إلى حدود الترجمة ، إذ من الخطر الكبير أن نسبخ في رمل عبارة الوعي « كما يسبخ الفيل

في الوحل» . لنرفض مسبقاً كل مماثلة بين الوعي والفكر. يبدو ان الوعي يختلط مع العقلي المتجسد في مجموع الحواس الست : وهو لا يختلف عنه ، ودوره الخاص ينحصر فقط في أن يكون متنبهاً للأشياء التي تتناسب مع الحواس الست. وإليكم التحديد المعطى له من قبل بوذا نفسه : «الوعي يدعى حسب السبب الذي يخلقه : العين والأشكال تخلق وعياً يدعى الوعي المرئي ، الاذن والأصوات تخلق الوعي المسمى : الوعي السمعي ، الأنف والروائح تخلق الوعي المسمي : الوعي الشمي ، اللسان والتذوقات تخلق الوعي المسمى : الوعي الذوقي ، الجسد والأشياء الملموسة تخلق الوعي المسمى : الوعي العقلي» .

ان بوذا بتأكيده «باختصار» ان المجاميع الخمسة للارتباط هي «دقة» ، يرفض بالتالي كل مفهوم عن «الذات» أو عن الجوهر ، أو عن الماهية التي يمكن أن تظهر وراء جمع تلك العناصر الخمسة . لا شيء يحقق اللحمة بينها حقيقة ، ما عدا ، ربما الارادة أو على الأصح أيضاً : الكارما ، غير اننا عرفنا أن هذه الأخيرة تدخل في نطاق المجمع الرابع للارتباط ، وانها تبقى بالتالي متناسقة مع المجاميع الأخرى . وتلك الفكرة عن حركة بدون محرك ، وعن حياة بدون سبب أول ، قد عبر عنها بايجاز «بوذاغوزا» المفكر

الأكثر عمقاً دون شك في المركبة الصغرى (حوالي القرن الرابع بعد المسيح) ، في « الفيزودذيماغا » (Visuddhi-magga) (أي طريق النقاء) ، وهي موسوعة واسعة عن العقيدة البوذية ، بما يلي: « وحده العذاب موجود ، ولكننا لا نجد معذّباً (فتح الذال)، المشاهدموجودة ولكننا لا نجد ممثلين».

الحقيقة المقدسة الثانية تعالج أصل الألم ، وهي واردة كما يلي : « الظمأ (الظمأ إلى الوجود) المرفق باللذة والشهوة ، هو الذي يقود من ولادة جديدة إلى ولادة جديدة ، ويجد هنا وهناك لذته : ظمأ اللذة ظمأ الوجود ، ظمأ اللااستمرار » . وذلك الظمأ يعذبنا ، وخاصة أنه تبعاً لتعريفه لا يرتوي. واللااستمرارية وغياب « الذات » تبعدان مقدماً كل امتلاك دائم ونهائي . و « الآرهات » أي قديس المركبة الصغرى ، يختلف عن « بوذيساتفا » المركبة الكبرى ، بمعنى أن الأول يبحث قبل كل شيء عن خلاصه الشخصي الخاص ، بينما الآخر يهتم بخلاص أمثاله ، ويعتقد ان أحسن طريقة للوصول إلى الهدف ، الذي وضعه أمامه ، طرد كل رغبة من قلبه ، نقرأ في « الساميوتا — نيكايا » ما يلي : « اعتبر بقداسة الآرهاتات ، انهم لا يملكون أية رغبة ، بعدما نزعوا فكرة : « أنا موجود » ، انهم خالدون ، غير محدثين ، انهم بلا دنس ، وباعتبارهم أشخاصاً حقيقيين ، مفعمين بالله ،

وابطالاً كباراً وأبناء مباشرين لليقظة ، لا يضطربون أمام أي موقف ، أنقياء من كل مستقبل آت ، فهم دائماً يقفون على ذاتهم المقهورة ، وقد كسبوا معركتهم في العالم ، زئيرهم من زئير الأسد ، المستيقظون لا شبيه لهم » .

واذا كانت ادانة الظمأ في الحقيقة الثانية المقدسة غير مرفقة بأي تفسير عن مصدر هذه العقبة الرئيسة في طريق الخلاص ، فان الأمر يختلف إذا أتينا إلى النظرية المشهورة عن الأسباب الاثني عشر ، المسماة أيضاً نظارية « النتاج المشروط » ، التي تكملها ، وفي بعض الأحيان تحل محلها ضمن التعاليم البوذية ، إذ يتناول الأمر ساسلة من الاقتراحات ذات المعنى المزدوج ، وعندما نصعد من السبب الأول إلى الثاني عشر نشاهد الولادة التدريجية للوجود ، فالساساة المعنية ترتدي صفة « اونطولوجية » ولكن بالعكس : عندما ننحدر من السبب الثاني عشر وصولاً إلى الأول ، نلغي واحداً بعد الآخر الأسباب التي لطخت حياتنا وأثقلتها ، وننتهي بالوصول إلى الخلاص ، فالساسلة تصبح حينئذ « سوتيريولوجية » .

إليكم النص الذي يورد بالتدقيق تسلسل الأسباب والنتائج في تدرج قاسٍ ، ويبين انطلاقاً من ذلك كيف ان

ارتهاناتنا للوصول لا يكف عن التفاقم ، إلا إذا صعدنا التيار الذي يجرفنا :

١ ـ التشكيلات الكارمية تنبثق مشروطة من الجهل
٢ ـ والوعي يبرز مشروطاً من التشكيلات الكارمية
٣ ـ ويحصل الاسم والشكل (مجموعة الروح والجسد) مشروطين من الوعي
٤ ـ وتتبدى المجالات الحسية الستة مشروطة من الاسم والشكل (مجموعة الروح الجسد)
٥ ـ ويحصل الاحتكاك مشروطاً بالمجالات الحسية الستة
٦ ـ يصدر الاحساس مشروطاً بالاحتكاك
٧ ـ ويحصل والتوق مشروطاً بالاحساس
٨ ـ ويحصل الارتباط مشروطاً بالتوق
٩ ـ وتحصل الصيرورة مشروطة بالارتباط
١٠ ـ وتحصل الولادة مشروطة بالصيرورة
١١ ـ وتحصل الشيخوخة والموت والاسى والدموع والألم والحزن والعذابات مشروطة بالولادة .

هوذا مصدر كل تلك المجموعة من الآلام » .

الجبرية ، التي رسمت قساوتها الشديدة مزدانة بالنتاج

المشروط لكي نتوضح فيها طريق الخلاص الذي وجد به بوذا ، قد دفعت هنا حتّى الحد الأقصى . فخلال مسيرة الحياة ، لا تجد الصدفة أية نجوة تنفذ منها حتّى مداورة . والحتمية وحدها تسود مصيرنا : «إذا وجد ذاك . حصل هذا ، وإذا لم يوجد ذاك لم يحصل هذا» دوذا المبدأ الذي يتمسك به شديد التمسك ذلك التحايل .

أما بشأن بوذا ، فانه يؤكد في وقت معاً على أهمية النص المذكور الذي يختلط فهمه مع فهم القانون الجوهري (ذارما) وعلى أهمية صعوبات الشرح . نقرأ في «الديغانيكايا» «يوماً كان السيد موجوداً بين الكوروس (Kurus)، فوجه المبجل «اناندا» الكلام إليه قائلاً : «شيء رائع يا سيدي : ان النتاج المشروط يبدو لي واضحاً وضوحاً كاملاً ، رغم ما هو عليه ، وكما يبدو ، من العمق — لا تتكلم هكذا يا أناندا ، لأن ذلك النتاج المشروط عميق في الوقت نفسه الذي يبدو به عميقاً . ولأن هذا الجيل الذي لا يدرك هذا «الذارما»، ولا يسمو إلى مستواه ، هذا الجيل المشوش مثل لفة من الخيطان، مغطاة بالميديو (midiou) ومجدولة كحبل من العشب ، هذا الجيل لا يستطيع أن يتجاوز تلك الحالة المفعمة بالمخاوف والقلق ، ذلك الوضع السيء ، تلك الهوة ، ذلك

الدولاب الذي يستمر في الدوران » .

من أين إذن تتأتى تلك الصعوبة في النص المشار إليها من قبل البوذا ؟ يوجد دون شك تناقض ظاهري على الأقل ، بين تعداد الأسباب الاثني عشر الذي يستشف منه تطور في خط مستقيم ، والتركيب الداخلي الذي هو في الواقع دائري ، حيث أن كل سبب يشكل في وقت معاً نتيجة . وانه شرط بقدر ما هو مشروط نفسه . غير ان بوذا يشرح بنفسه انه لم يكن في نيته أن يجعل منه سلسلة يؤلف الجهل السبب الأول فيها . وانه لا يوجد فيها ترتيب تتابعي وان التسلسل يستجيب ببساطة إلى ملاءمة عملية العرض . تلك الدائرة التي يوجد ابتداؤها في كل مكان ، ولا يوجد في أي مكان تقتصر على بيان قانون عن السببية ، أي معرفة أن كل حادث يولد من سبب يمكن ادراكه حسياً ، وعناصر السلسلة جميعها نسبية فيما بينها ، وانطلاقاً من ذلك فهي متوافقة ، ومتعاق الواحد منها بالآخر .

وبعدما أدلينا بهذا التوضيح ، نقول ان النص يظهر أقل احكاماً مما تحمله تعليقات بوذا من تخوف من ذلك . إذ نجد فيه خاصة المبادىء المنصوص عليها في المجاميع الخمسة للارتباط ، تلك المبادىء التي تقوم في نطاق دينامية الأسباب

الاثني عشر ، بدور مناط بها تقليدياً . أما بشأن البنية العامة للسلسلة ، فيمكن ، بالتنسيق مع أكثر شارحي البوذية تمييز المصاريع الثلاثة لحركة حيوية تتناول تبعاً لنظرية المادة التجسد (التقمص) الماضي والحاضر والمستقبل .

الجهل ، والتشكيلات الكارمية مسؤولة عن الحياة السابقة، أما بالنسبة إلى الجهل فان الأمر يتناول جهل الطبيعة الحقيقية للعالم المصاب بعدم الاستمرارية ، بعكس تلك اليقظة التي من المفروض أن تحدثها الحقائق المقدسة الأربع . الجهل هو الذي يحرك دولاب الحياة ، والتشكيلات « الكارمية » أي جميع الأفعال السابقة ، صالحة كانت أم سيئة ، تلك الأفكار التي تبعاً للتطور الكارمي ، تؤدي إلى تقمصات جديدة فترعى تلك الحركة إلى ما لا نهاية .

الحياة الحاضرة تجري تبعاً لتصميم هو في جزئه الأكبر مرتبط ارتباطاً عائلياً بالطريقة البوذية . والوعي ، اعني ، المعرفة الحسية (المتعقة بالحواس) والفكرية ، والاسم والشكل أعني التركيب النفسي — الجسدي (المتعلق بالنفس والجسد معاً) لشخصيتنا، ومجالات الحواس الست أي الحواس الخمس والذهن ، والاحتكاك أعني العنصر المولد للاحساسات، والمشاعر أعني احتكاك الحواس الست مع العالم الخارجي ،

والظمأ أصل الألم « دقة » ؛ والارتباط أعني الجهد الهادف إلى الاستيلاء على العالم الخارجي والاحتفاظ بتملكه ، وأخيراً الوجود أو بالأرجح المستقبل أعني الكارما التي تنفتح على وجود جديد ، تشكل جميعها الأوجه المتعددة للحياة الحاضرة ، التي تحمل عبء حياة سابقة ، ولكنها تزيد من ثقل هذا العبء بدورها قبل أن تحمله بدورها عاتقي حياة مستقبلة .

وخطوط تلك الحياة المستقبلة مرسومة في السببين الآخرين . والدورة المؤلمة ، اللامنتهية للشيخوخة والموت ، والاعباء والعذابات تأتي بعد كل ولادة جديدة .

والحقيقة المقدسة الثالثة تعلن الغاء الألم ؛ فالحاقة المصنوعة بدون انقطاع من قبل الكارما ، تجد نفسها منقطعة نتيجة لانعدام الشهوة ، وارادة الامساك ، والاحتفاظ : « أيها الرهبان ! إليكم الحقيقة المقدسة عن الغاء الألم : اطفاء ذلك الظمأ بواسطة القضاء الكامل على الشهوة ، ولعنها ، والتخلي عنها ، والتخلص منها ، وعدم السماح بأي مكان لها » .

ان اطفاء نيران الهوى والوهم يخلق الظروف المؤدية إلى النفاذ إلى « النيرفانا » . ولنحذر من الاعتقاد أنها السبب ، إذ

ان إقامة علاقة سبب لنتيجة . بين زوال الظمأ والولوج إلى « النيرفانا » تعيدنا نحو حلقة « النتاج المشروط » حيث التخلي النهائي راسخ بدقة في « النيرفانا » . ثم ان التحدي الموجه إلى السببية حيث لا نستطيع خارجها أن ننجح في أن نأخذ مكاننا ، هو الذي يجعل مفهوم « النيرفانا » غير مفهوم ، ومحكم الاغلاق ، وغير محسوس ، بذلك القدر .

إذن ما هي النيرفانا ؟ انها بادىء ذي بدء نهاية اعادات التجسد ، وليست ، كما هي في البرهمية اتحاد النفس الفردية مع النفس الكونية . وانطلاقاً من مفهوم لغوي يبقى مشكوكاً فيه دون شك ، يقول بأن « الفيرفانا » تعني الانطفاء ، يمكننا أن نوضح معناها بمقابلتها مع نار تنطفىء لعدم وجود وقود ، أو مع شعلة فانوس تنطفىء عندما ينضب الزيت منه ومن الفتيلة . من الممكن بلوغ النيرفانا في أثناء حياتنا ، « فالآرهات التي تتوصل إليها ليست خاضعة اطلاقاً لحتمية التشكيلات الكارمية . وهذه هي الحالة التي تحدث عنها « شوبنهاور » مفسر بوذا في كتابه المسمى : « العالم كارادة وتصور » فهو يصفها كأنها « سلام لا يعكره شيء ، وهدوء عميق ، وصفاء حميم ، حالة لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من اشتهائها عندما الواقع أو تفكيرنا يقدمانها لنا ، لأننا نتعرف إليها كأنها

وحدها العادلة ، وحدها التي تسمو بنا حقيقة ، وإليها يدعونا ملاكنا الطيب Saper Sande .

وبسبب واقع أن « نيرفانا » الحائز على الخلاص حياً تساوي تحرراً من كل جبرية ، فان فكرة « العدم » لا بصفته ماهية ، اولية ، أو مطلقاً كلياً، بل بصفته مبدأ يخرج عن كل مفهوم أونطولوجي، تكون مشتركة فيها اشتراكاً وثيقاً . وإذا كان بوذا نفسه لم يسر في هذا السبيل ، وفضل أن يبقى بالنسبة إلى هذا الموضوع في « صمت نبيل » . فان المركبة الكبرى ، قد شرحت فيما بعد مفهوم الفراغ « سونيفادا » إلى درجة جعلت منه أساس ما ورائيتها .

ولكن انطلاقاً من هذا نفسه ، تكف « النيرفانا » عن أن تكون تلك الأحجية ، تلك الفكرة — القوة التي تمثلها في في البوذية الأولية ، إذ هي لا تحتفظ في الواقع بكل فعاليتها إلا بقدر ما تحاط بهالة من عدم الدقة . والكلام التالي يثبت تلك الضرورة في ابقاء «النيرفانا » في نوع من الضوء — المظلم السحري ، قليلاً نوعاً ما . احد التلامذة ويدعى « مونكي آبوتا » (Monkyâputta) قال يسأل بوذا حول مسألة النيرفانا : « الثاغاتا (أي الذي توصل إلى الكمال) — هل يستمر عائشاً في « النيرفانا » ، أم أنه العدم يبتلعه ؟ » فروى

بوذا كجواب حالة رجل أصيب بسهم مسموم ، هل يؤخر العلاج حتى يتمكن بالتدقيق من معرفة إذا كان الذي جرحه نبيلاً أم برهمياً، «فيشيا» (Vaiçya) أم «شودرا» (Cudra)، ماذا تكون النتيجة ؟ إذا فعل لقي الجريح مصرعه . ويحدث الشيء نفسه مع الرجل الذي عليه أن يشفى من حلقة الولادة والموت ، فليكتف إذن بالحقائق الأربع المقدسة . فكل ما عداها زائد ، ويشكل خطر تأخير الخلاص.

غير ان « النيرفانا الكاملة » (البارينيرفانا) هي التي احتلت المكانة بعد وفاة بوذا ، وبشكل عام نيرفانا «آرهات» ، التي يجد تفسيرها صعوبات لا يمكن التغلب عليها اطلاقاً . وبعد الموت فان المجاميع الخمسة للارتباط التي كانت تتألف منها أشخاصها ، تتحلل هي بدورها أيضاً ، ولا شيء يبدو باقياً بعد ذلك يمكن أن يتمتع بالغبطة الأبدية . فهل ان الزوال التام هو المثال الأعلى الذي يبشر به بوذا ؟ ان فرضية الفائق الوصف ، الفائق التعبير ، والازدواجية الأصلية بين الكائن واللاكائن تتحدى كل منطق ، وان الرفض المدروس لكل « ماورائية » خاصة ببوذا والبوذية الأولية ظاهرة بوضوح في النص التالي من كتاب : «ساميوتا — نيكايا» إلى جانب نصوص اخرى متعددة ، يقول : « بما أن (تاثاغاتا) حتى

ولو كان حاضراً على التوع ، غير مفهوم ، فيجب أن لا يقال بالنسبة إليه .. إلا بعد موته : انه كائن أو غير كائن، أو أنه موجود أو غير موجود في وقت ما، أو أيضاً أنه ليس موجوداً أو موجوداً » .

الحقيقة الرابعة المقدسة تشير إلى الطريق الذي يقود إلى الكف عن الألم معددة الفضائل الثماني التي تشكل دلالاته : ـ« انه طريق الفروع الثمانية المسماة : الايمان الصافي ، الارادة الصافية ، التعبير الصافي ، العمل الصافي ، وسائل العيش الصافية : الانكباب الصافي ، الذاكرة الصافية ، التأمل الصافي » . ليس للطريق الثُماني ، مثله مثل جميع التسلسلات البوذية ، لا بداية ولا نهاية ، فالأنواع الثمانية لا تنتظم في نظام تصاعدي ولا تنازلي مرتب بشكل لطيف ، بل يجب مجابهتها دفعة واحدة وليس عن طريق التتابع . غير ان التقاليد تقسمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة من الطرق التي تقود نحو الاكتمال ، القسم الأول وارد تحت عنوان الأخلاقية وينسب إليه : التعبير الصافي ، والعمل الصافي ووسائل العيش الصافي ، أما الثاني فيحمل عنوان التناقض ويضم : الذاكرة الصافية والتأمل الصافي، أما الثالث أخيراً فهو الحكمة ويضم: الايمان الصافي ، والارادة الصافية .

أما بشأن الأخلاق، فهي تبدو أحياناً مقتصرة على بعض قواعد السلوك وعدم التقيد بها معاقب عليه «بكارما» شريرة، ولكن باعتبار أن هدف البوذية ليس إيصال البشر إلى مراكمة الكارمات الجيدة، بقدر ما هو منعهم من الانصراف إلى أية « كارما » حسنة كانت أم سيئة لانتزاعهم أخيراً من حلقة التقمصات المحركة والمواظب عليها من قبل الكارما بالتدقيق : فانه يمكننا أن نتصور أن كل محاولة لانشاء نظام أخلاقي داخل بوذية متناسقة ستصاب مسبقاً بنصف فشل بلا ريب . وذلك الشعور بوجودنا تجاه أخلاقية مبتورة ان لم تكن مزيفة بقدر ما تفرض عدم - التحرك تجاه عالم معتبر كأنه وهم حيث الخير والشر يتخذان بدورهما مظهراً خيالياً ، ذلك الشعور بقوى نتيجة للمسالكية الحماسية التي يبشر بها بوذا المؤمنين. العلمانيين فمطالبتهم بعدم القتل، وعدم السرقة ، وعدم ارتكاب الزنا ، وعدم الكذب ، وعدم تعاطي المشروبات المسكرة (لا تقتل ، لا تسرق ، لا تزن ، لا تكذب ، لا تشرب الخمر) تصب في تيار أخلاقية سلبية أكثر مما هي إيجابية ، وهو بذلك يضع قانوناً يمنع أكثر مما يوصي ، انه نوع من الأنانية تتناول فقط كبت الانسان لأهوائه الخاصة ، ليتوصل بسرعة أكثر إلى حالة « نائل الخلاص حيا». أما المسلكية المفروضة على الرهبان فهي بلا شك أكثر قساوة

وصرامة ، إنما لا يوجد بينها وبين تلك الخاصة بالعلمانيين فرق في الجوهر والطبيعة . فالموجبات المفروضة على أولئك والمضافة إلى القواعد الخمس الأساسية ، تنص على عدم تناول الطعام في أوقات غير منتظمة ، وعدم حضور التظاهرات المسرحية والموسيقية ، وعلى الامتناع عن استخدام الأدهنة والمراهم ، أو الزينات ، وعلى الامتناع عن النوم على أسرة وثيرة ، وعلى عدم القبول بتلقي الذهب والفضة .

صحيح أن البوذا نفسه ، أعطى المثال عن صفاء مثير للاعجاب من الرحمة والسخاء ، ولكن ذلك الموقف لا يستند إلى الشفقة التي يشعر بها تجاه الذين يتعذبون ، بل إلى مشهد العذاب بحد ذاته ، الذي هو السيد الغير المنازع للكون . وما دام لا يمكن ادراكه كحتمية يجب انقاذها برفض الكون نفسه ، وباعتبار ذلك ، فان هذا الموقف لم يلبث أن تحول بسرعة إلى لا مبالاة تجاه بؤس الغير ، أي إلى عدم إحساس يأخذ مكانه نقيض الرحمة .

ويؤيد إلى ما ذهبنا إليه عدد كبير من القصص . مثلاً ذات يوم جاءت امرأة لمقابلة بوذا ، ورجته أن يعيد الحياة إلى ابنها الذي مات منذ قليل ، فوافق بوذا على ذلك بشرط أن تأتي له بتأكيد من احدى الأسر يفيد أن هذه الأسرة لم

يلحقها مثل ذلك المصاب . ذهبت الامرأة وملؤها الرجاء ؛ ولكنها بعد تنقلها من أسرة إلى أسرة أدركت أن الجميع أصيبوا بالمصاب نفسه في وقت من أوقات حياتهم . بعدما اعترفت بشمولية العذاب عادت إلى السيد ورجته أن يجري قبولها في جماعة الراهبات .

وعدم الاحساس يلامس بعض الأحيان حدود الشراسة وذلك مثلاً عندما يجري امتداحه في هذه القصة التي كان بطلها المسمى: « اوباغوبتا » (Upagupta) أحد تلامذة بوذا . فلقد وقعت في غرامه مومس رائعة الجمال تدعى « فازافاداتا » (Vasavadhata) ، لكنه رفض جميع العروض التي تقدمت بها إليه بواسطة خادمتها . وفي أثناء ذلك كانت المومس تعيش محظية أحد رؤساء الحرفيين ، فأحبها أحد التجار الأغنياء ، فدفعها الجشع إلى قتل عشيقها الأول وذهبت تعيش مع الآخر . اكتشفت الجريمة وحكم الملك على « فازافاداتا » بقطع يديها ، ورجليها وأذنيها ، وأنفها وأن ترمى بعد ذلك في المقبرة . تم تنفيذ الحكم ، وحينئذ فقط ذهب « اوباغوبتا » إليها ، مما آثار عجبها ، فقالت له : « عندما كان جسدي ناعماً لطيفاً مثل زهرة اللوتس ، ومزيناً بالفراء والأثواب الثمينة ، وفيه كل ما يجتذب الأنظار ،

كنت تعيسة لعدم تمكني من رؤيتك، فلماذا جئت الآن تتأمل هنا جسداً لا تتحمل العينان النظر إليه وأصبح لا سبيل له إلى اللهو ، واللذة ، والمسرة ، والجمال ، جسداً يثير الرعب ملطخاً بالدم والوحل ؟ » فأجابها « اوباغوبتا » : « لم آت إلى قربك ، يا أختاه ، مدفوعاً بحب اللذة ، إنما أتيت لأرى الطبيعة الحقيقية للاغراض البائسة لمسرات الانسان » .

والبحث عن التركيز مرتبط ارتباطاً وثيقاً مع ممارسة « اليوغا » التي أوصت بها البوذية منذ البداية ، شأنها شأن العقائد الهندية الأخرى جميعها . ولما كانت كلمة يوغا تعني : النير (راجع Jugum اللاتينية ، و Joch الألمانية) ، فمن البديهي أن لا يتناول الأمر حالة صوفية أو ذهولية تسمح بالهروب من الوضع العادي ، بل يتناول طريقة مراقبة صارمة يفرض الانسان بواسطتها على نفسه مسلكاً صارماً . وكما أن بوذا مر بالدرجات الأربع للتأمل قبل أن يصل إلى الاشراق ، فان « اليوغا » التي في نهايتها تنفتح « النيرفانا » تنقسم إلى أربع مراحل متتابعة وغالباً ما يماثلون هذا الطريق الرباعي ، مع الحقائق المقدسة الأربع وهذا الطريق الذي يرافق الحقائق الأربع في تطورها .

فالتركيز الأول المنوي بلوغه هو فيزيولوجي (جسدي) ،

ويقوم على اخضاع الحواس لأقسى مراقبة . والممارسات التنفسية هي التي تعتبر أحسن وسيلة للسيطرة على الجسد بأكمله . وطريقة الزفير ، والشهيق والاحتفاظ بالهواء : مبنية على العقيدة الهندية التي تقول ان النفحة تمتزج مع الطاقة الحيا تية .

والتركيز الروحي — أو « الراجا — يوغا » (اليوغا الملكية) يمر في ثلاث مراحل . ففي زمن أول ، يتطلب الأمر تخليص الفكر المتشرد من الأوهام التي يبثها فيه العالم الخارجي. ويجري الحصول على هذا التركيز الفكري « ذارانا » (Dha-rana) بواسطة التكرار الذي لا هوادة فيه ، لبعض العبارات ، أو بواسطة التحديق بانتباه في شيء محسوس : مثلاً طرف اللسان أو السرّة . وبعد امتلاك السيطرة على الفكر هكذا ، يمكن اللجوء إلى التأمل (ذيانا Dhyana وزن Zen في اليابانية). فالشيء الذي لم نكف عن تأمله يمتص الفكر إلى حد ينسيه العالم الخارجي . وفي هذا الفراغ حيث الروح تجد نفسها متحررة من كل الأهواء ، وكل ردات الفعل الغريزية يتمكن التأمل من الانطلاق إلى تأمل مطلق «ساماذي» (Samâdhi) وإذا كانت المرحلتان الأوليتان قد أدتا إلى سيطرة تامة على الجسد والفكر ، فان المرحلة الأخيرة تؤمن الانصهار التام

والحميمي بين الذي يفكّر ، وما يفكر فيه ، انصهار من يعلم مع ما يعلمه ، وباختصار يلتغي بعد ذلك كل فرق بين الكائن والشيء . نقرأ في « الماجيما — نيكايا » عن راهب توصل إلى « الساماذي» ما يلي : ماشيا وواقفا أو جالساً أو مستلقياً يدرك أنه يفعل ذلك ، بشكل أنه مهما كان وضع الجسد ، يدرك تماماً أن ذلك كذلك » .

وعدم ثنائية الروح تلك المنطوية على نفسها معبر عنها بشكل رائع في تمثال بوذا المعروف باسم «بادمازانا» (Pad-mâsana) ، فهو يبدو منصرفاً إلى التأمل المطلق، جالساً على شكل زهرة اللوتس ، وتلتف رجلاه الواحدة على الأخرى بشكل صليب ، وكل رجل منهما تستند إلى فخذ الأخرى ، واليدان موضوعتان بارتخاء فوق الركبتين .

وفعالية الرقابة الممارسة على ردات الفعل الغريزية الفورية الصادرة عن الجسد ، والميول الفجائية للفكر تسمح أخيراً بالوصول إلى قمة الحكمة . وبعد ابعاد جميع الأفكار التي دنستها الشهوة والحياة ، يصبح على الجهل مصدر كل ألم أن يخلي المكان نهائياً لمصلحة المعرفة . وحينئذ تتكشف العقيدة، « الذارما » أمام عينينا المأخوذتين إعجاباً ، بكل بريق حقائقها المقدسة الاربع .

كل تصّور لفكرة بوذا ، سيبقى غير كامل ، إذا لم تتوضح كفاية أهمية الأخوية الرهبانية (سانغا) . فإذا كان بوذا نفسه وعقيدته ، يشكلان الحليتين الأوليتين للمؤمن ؛ فان الثالثة تتمثل في جماعة الرهبان . إذ من المعروف أن موعظة « بناريس » لم تكن موجهة إلى جمهور مجتمع ، بل كانت موجهة إلى النساك الخمسة الذين افترقوا عن بوذا بعدما اختار الطريق الوسط ، والذين أصبحوا على أثر تلك الموعظة تلامذته الأولين . ألا تتطلب العقيدة نفسها كي تكون مفهومة ، او على الأقل مطبقة التخلي عن كل مهنة وعن كل واجب اجتماعي ، والخروج من الحياة الزمنية ؟ إذ بدون ذلك كيف يمكن التخلص من « كارما » شريرة أو صالحة ، تحتفظ بنا في حالة الأسر ؟ ثم أليست القواعد الراهبية التي يجب أن يخضع لها الراهب (بيكشو) موجهة أساساً ، لضمان استعداد كامل وحمايته . وإذا كان صحيحاً أن الروح التقليدية المنتشرة في كتابات بوذا ، تظهر أيضاً في ميدان المسلكية الرهبانية ، إلى حد يمكن تعداد مائتين وسبعاً وعشرين وصية في كتاب الواجبات (باتيموخا Patimokha) غايتها تنظيم حياة الراهب. فيبقى ان بالامكان اختصار هذه الوصايا بسهولة إلى ثلاث قواعد رئيسة هي : التسول ، واللاعنف، (اهنسا Ahinsa)، والعزوبية . فمن شأن طاسة الصدقات أن تحرر الراهب من

متطلبات الحياة الاجتماعية وتحميه العزوبية من روابط الأسرة ؛ واللاعنف أخيراً القـائم على الامتنـاع عن أكل اللحوم ، يخمد فيه صدمة الشهوة .

من البديهي أن نظاماً رهبانياً مبنياً بوجه الحصر على المسؤولية الشخصية يستغني عن التنظيم ، وبوذا في هذا الصدد لم يتناول أية سلطة روحية مركزية ، وان بعض التشكيلات التنظيمية الخارجية تؤدي إلى المحافظة على ما يبدو أنه تنسيق ، فالرهبان يجتمعون مرتين في الشهر ، أي يوم اكتمال البدر ، ويوم بدء الهلال ، ليعترفوا علناً .

بقي علينا أن نصف نوعاً ما الظل الذي الفته عقيدة بوذا على الغرب خلال تاريخها الطويل ، يبدو بادىء ذي بدء وجود عدم ملاءمة بين الديناميكية التي يبشر بها الغرب ، ومناخ المسالمة الذي نغرق فيه عقيدة بوذا ، إذ كيف يمكننا أن نفسر بغير ذلك ، ذلك الحدث المثير للدهشة حقيقة ، ألا وهو انتشار البوذية إلى الصين مثلاً ، رغم ان السبيل مسدود أمامها بسلسلة جبال « الحملايا » ، وصحارى مرعبة ، بينما هذه البوذية تلاقي صعوبات لا يمكن تجاوزها فور أن تدخل في اتصال مع الفكر الغربي. رغم أن الاسكندر بفتوحاتة التي قادته إلى « البنجاب » ، سهل بشكل استثنائي قيام

العلاقات بين الشرق والغرب ، في وقت كانت البوذية لا تزال تحتفظ باندفاعها سالماً .

يجب أن ننتظر القرن التاسع عشر ، كي نرى ، نتيجة لنشوء ميل لمصلحة « نهضة الشرق » بعض الاهتمام يوجه إلى البوذية في أوروبا ، وأيضاً ان التفسير الذي أعطي لها ينطلق خاصة من النزعات الايديولوجية المفضلة الخاصة بالغرب . فالحادبة ذلك العصر التي نسبت إلى البوذية صفة « الوصفية » ظنت أنها واجدة فيها ، حليفاً ثميناً بقدر ما لم يكن منتظراً . إذ هل يمكن أن نأمل أكثر من أن نجد ديناً بدون اله ، وإيماناً بدون روح ؟ بينما اكتفى آخرون على العكس ، بذكر العمق الباطني لها ، بالعودة تفضيلياً إلى أقل ما في البوذية من أصلة ، أعني كتابات المركبة الطنطرية (Tantrique) .

والفيلسوف الوحيد الذي أدخل في عقيدته الفلسفية ، بعض مظاهر البوذية الحقيقية، كان «شوبنهاور» (Scho-penhauer) وقد أعاد كتابه الرئيس المسمى: «العالم كارادة وكتصور» نوعاً ما رؤية الطريق الذي سار عليه بوذا في حقائقه المقدسة الأربع ، فالعالم ليس في نظره سوى أحجية ، ولعبة لا طائل تحتها ، وغالباً مهزلة من الصور المتقلبة غير المنطقية ، فلنتخل إذن عن الرغبة في العيش ، ولنعترف

بالرغبة الأصلية التي تتمثل ، عن خطأ صحيح، في النيرفانا.
كتب هذا الفيلسوف يقول : « لكي نكسر القوى المضرة المؤذية للواقع ، ولكي نشل الجوهر الشرير للأشياء ، يجب بادىء ذي بدء أن ينكشف العالم أمامنا كارادة بدلاً من أن يبدو كتصور بسيط . لنبعد ، وشاح « المايا » ؟

ومن خلال فلسفة « شوبنهاور » ظن الغرب الذي لم يكن لا يزال مفعماً بتفاؤلية مطمئنة عند بزوغ فجر المغامرة التقنية والعلمية الكبرى ، ان بامكانه ادراك التشاؤمية العميقة لدى البوذية. وقد استوحاها ريتشارد واغنر(Richard Wagner)، اما نيتشه (Nietzsche) فقد رفضها، والصقها « توماس مان » (Thomas Mann) ، ببعض شخصياته .

في القرن العشرين ، أصبح الفكر الغربي القلق والغير المطمئن من نهايته الخاصة في عالم مفعم بالاختلافات ، لا يتجاسر على التفاخر بتفوقه المادي الذي يبدو أنه أصبح متوجهاً ضد نفسه . فانتقلت المجابهة بين الفكر الغربي والبوذية بعد ذلك إلى ميدان آخر ، إلى ميدان القيم . فتجاه حضارتنا التي لا تعرف ان توجد ثروات مادية ، إلا بافقار الروح والفكر البشريين ، تبدو البوذية كأنها قادرة على تأمين فضلة ما من الروحية، وناحيتها التأملية خاصة «الذيانا»(Dhayana)

التي كتب عنها الياباني «مي يو آن ايزاي» (Myoân Eisai)
(١١٤١ – ١٢١٥) محاولة ، جاعلاً منها تحت اسم زين
(Zen) نظرية حقيقية عن التركيز الروحي . ان تلك الناحية
هي التي تتسرب إلى الأوساط الفكرية والفنية في العالم الغربي .

* * *

مؤلفات عن بوذا

بوذا نفسه لم يترك كتابات ، ولذا فان كل محاولة للعثور على عقيدته الأصلية ، تتطلب اختياراً مسبقاً في الأدب الواسع الذي لم يباشر بكتابته إلا بعد أكثر من اربعمائة سنة مرت على ولوجه « النيرفانا » ، والنصوص التي نذكرها فيما يلي ، مختارة في قسمها الأكبر من شريعة « بالي » ، التي هي أقدم من كل القوانين الأخرى ، ومن هنا تؤلف المصدر الأكثر مباشرة من بين المصادر جميعها التي لدينا . ويمكن الرجوع إليها بسهولة بفضل الطبعات والترجمات المتتابعة التي أصدرتها مؤسسة « بالي تكست » (Pâli text society) .

ومن بين سلاته الثلاث ، المسلكية (فينايا) ، التنبؤات (سوترا) ، والعقيدة (ابيذاما) اخترنا بشكل خاص الاثنتين الأوليتين اللتين هما أقدم من الثالثة بلا منازع .

فينايا Vinaya

ساماننا بازاديكا (Samanta pâsâdikâ) نشره تاكاكوزو وم. ناغاي، ٧ مجلدات، مؤسسة بالي(Pâli text society) (١٩٢٤ الى ١٩٤٧) .

سوترا

« ديغا — نيكايا » نشره ت. و. ريس دافيد (T. W. Rhys Davis) وج . ايستلين كاربنتر . وو. ستيد (J. Eetlin Carpenter et W. Stedde) ٣ مجلدات (١٩٠٨ — ١٩١١) (Pâli text Society

« ماجيما — نيكايا » (Majjhima—Nikâya) نشره ف. ترانكنر ولورد شالمرس (Trenckner et Lord Charlmers) ٣ مجلدات (١٨٨٨ — ١٨٩٩) Pâli text society .

ساميوتا — نيكايا

نشره ل. فير (L. Feer) ٥ مجلدات (١٨٨٤—١٨٩٨) (Pâli text society)

انغوتارا — نيكايا

نشره ر. موريس و ا. هاردي (R. Morris et E.

Hardy) ٥ مجلدات (١٨٨٥ — ١٩٠٠) (المؤسسة نفسها)

وبعض النصوص منقولة عن « الميليندابنها » (-Milind âpânha) المنشور من قبل ف. ترينكنر ، لندن، المؤسسة الملكية الآسيوية Royal Asiatic Society (١٩٢٨)

قانون بالي كله تقريباً ترجم إلى الانكليزية :

فينايا

The book of the discipline (Vinayapitaka) ترجمه إلى الانكليزية ل. ب. هورنر ، المجلدات ٢ و٣ و٤ (Sacred books of the Budhists) اكسفورد ، ١٨٣٨ — ١٩٤٢ .

شوترا

(ديغا — نيكايا) Dialogues of the Budha ترجمه إلى الانكليزية ت. و وس. اريس دافيد ، المجلدات٢ و٣ و٤ Sacred books of the Budhists، لندن (١٨٩٩ — ١٩٢١) .

محادثات مختلفة لبوذا (ماجيما — نيكايا) مترجمة إلى الانكليزية بقلم ر. شالميرس ، الكتب المقدسة للبوذيين المجلدان ٥ و٦ ، لندن ١٩٢٦ — ١٩٢٧ .

كتاب الأقوال المتتابعة (Anguttaranikaya) (انغوتارانيكايا) مترجم إلى الانكليزية بقلم ك.ا.ف. Rhys دافيد س و ف. ل. وودورد ، مؤسسة ترجمات نصوص بالي : المجلدات ٧ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ لندن (١٩١٧ - ١٩٣٠).

كتاب الأقوال المتتابعة (انغوتارانيكايا) ، مترجم إلى الانكليزية بقلم ف. ل. وودورد و م. هار ، مؤسسة ترجمات نصوص بالي، المجلدات ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ لندن (١٩٣٢ - ١٩٣٦).

أما الترجمات الفرنسية فهي مجزوءة وقليلة العدد نذكر منها :

الشريعة البوذية : بالي ، ديغانيكايا ، الكراسة الأولى باريس ١٩٥٩ ، لا تحتوي إلا نص الشوترا الثلاثة الأول وترجمتها .

نصوص الشريعة البوذية : بالي — ١ — ماجيما نيكايا، باريس ١٩٥٣ ، وهي لا تتجاوز الشوترا العشرة الأولى من النيكايا المذكورة .

يمكننا أيضاً أن نجد فائدة في انطولوجيتين : واحدة لرينه غويون ، الأنطولوجيا البوذية ، مجلدان ، باريس ١٩٢٤ — والأخرى لا شافان : خمسمائة قصة ، وحديث منتقاة من الترييبناكا الصينية (جاتاكا) ، ٤ مجلدات ، باريس (١٩١٠ — ١٩٣٤).

* * *

مختارات

تعاليم بوذا ـــ طبيعة بوذا

يوماً ما كان المعلم يسير على الطريق بين «اوكاثا» (Oukhattha) و «سيتابيا» (Setabbya). وكان البرهمي «دونا» (Dona) يفعل الشيء نفسه. فشاهد هذا الأخير في آثار أقدام المعلم الدواليب [١] بخطوطها الألف ، وأطرافها ، ونواها ، وجميع خصائصها ، فقال لنفسه : «في الحقيقة ، ما أعظم هذه ، لا يمكن أن تكون هذه الآثار ، آثار انسان» .

تبع «دونا» آثار المعلم، ثم رآه جالساً في ظل شجرة ،

(١) الدواليب المثبتة على النعلين تنتمي إلى العلامات الاثنتين والثلاثين المميزة للرجل العظيم .

موحياً بالايمان ، حواسه هادئة ، وروحه هادئة ، وقد بلغ الهدوء الذي تؤمنه السيطرة القصوى على النفس ، وقد روض حواسه وطوعها بوضعها تحت حراسة جيدة . عندما رأى دونا « الفيل » توجه إلى المعلم وقال له[1] :

« هل أنت أيها المبجل ديغا ؟ » [2]

« أبداً ،أيها البرهمي » لست ديغا »

« إذن أنت هارفا كبير ؟[3] »

« ابداً أيها البرهمي »

« إذن أنت يقة [4] » (؟ (Yokkha)

« أبداً أيها البرهمي ، لست يقه »

« إذن هل أنت ايها المبجل كائن بشري ؟ »

« أبداً أيها البرهمي ، لست كائناً بشرياً »

---

(١) الأمر هنا يتعلق « بناغا » الذي هو في وقت معاً ذكر فيل ، وحية كوبرا وتنين ، ورجل عظيم . وهذا الاسم يطلق على الراهب الذي زالت « اشعاعاته » .

(٢) « ديفا » إله ، كائن سماوي .

(٣) هارفا كبير تعني : أ) كائناً في سبيله للولوج إلى بطن أمه ، ب) وديفا منتسباً إلى طبقة الموسيقين السماويين .

(٤) يقه نوع من الأرواح ، من الجن .

« لقد أجبت بالنفي عن كل أسئلتي ، إذن من أنت أيها المبجل» ؟

« أيها البرهمي ، تلك الاشعاعات التي أستطيع أن ألون بها ديفا ، أو هارفا كبيراً ، أو يقه ، أو كائناً بشرياً او لم تزل مني قد زالت من نفسي ، وقطعت من جذورها ، كأنها جذر نخلة لا يستطيع أن يعيش حياة أخرى . وكزهرة لوتس زرقاء أو حمراء أو بيضاء ، تخرج من الماء غير مبتلة رغم أنها تولد فيه ، وتنطلق منه ، وتبقى على سطحه : هكذا أيها البرهمي ، رغم أني ولدت في العالم ، وترعرعت فيه ، لم أتلطخ به ، أنا الذي انتصرت على العالم . اعلم أيها البرهمي اني بوذا [1] .

(من انغوتارا نيكايا (٢) (٣٧ - ٣٩)
(Anguttara Nikâya 11-37-38)

(١) بوذا المستيقظ .

اهتـــداء

ثم اقترب من الايكة الوطبة حيث كان المعلم يتنزه في الهواء الطلق ، رآه المعلم فنزل من المكان حيث كان يتنزه وقال « لاناثابينديكا » (Anâthapindik) :

ـ تعال يا « سوداتا » (Sudatta) وعندما فكر هذا الأخير : « المعلم يناديني باسمي الحقيقي[1] » ، احنى رأسه نحو قدمي المعلم . وقال انه يأمل أن يكون المعلم في صحة جيدة ، أجاب المعلم : « أجل ، يشعر دائماً في صحة جيدة ، البرهمي الذي بلغ « النيرفانا » .

---

(١) « سوداتا » هو الاسم الذي تلقاه اناثابينديكا من أسرته ، والذي كان يعرفه وحده : فبوذا ، بنماداته به أظهر مقدرة فائقة ، عجائبية :

« الذي ليس مدنساً بالشهوات ، الذي برد ، الذي أصبح بدون أساس » [1] .

« الذي مزق جميع الروابط ، وتحول عن أوهام القلب . الذي يعيش في سلام وسعادة لأنه حصل على سلام النفس » .

ثم تحدث المعلم بأشياء مختلفة إلى رب أسرة « اناثا — بينديكا » ، تحدث عن الهبات ، عن العادة الأخلاقية للسماء ، شرح الخطر ، والكبرياء ، والفساد الكامنة في اللذات الحسية ، والفائدة المرجوة من التخلي عنها . وعندما لاحظ المعلم أن روح رب أسرة « أناثابينديكا » أصبحت مستعدة لينة ، متحررة من الموانع ، سامية ، مغتبطة شرح له نظرية «الذارما» التي اكتشفها البوذات أنفسهم، وهي الألم: ولادته ، الغاؤه ، الوسيلة . وكقطعة قماش نظيفة بدون لطخات سوداء تأخذ بسهولة اللون، هكذا ظهر منظر «الذارما» بدون غبار، وبدون لطخات أمام عيني رب أسرة « أناثا— بينديكا » عندما كان جالساً في ذلك المكان ورأى : « كل ما هو خاضع للولادة ، وكل ما هو خاضع للموت أيضاً » ، ثم ، عندما رأى « الذارما » ، عندما بلغ « الذارما » ، عندما عرف « الذارما » ، عندما غرق ، في « الذارما » ،

---

(١) الأساس (اوباهي) يربط الرجل بحلقة التقمصات

عندما تجاوز الشك ، عندما تخلص من اللايقين وبدون مساعدة أحد آخر، عندما حصل على الثقة الكاملة بتعاليم المعلم، قال اناثا بينديكا للمعلم :

« هذا رائع ، أيها المعلم ، فكما بالامكان رفع ما سقط أو اكتشاف ما خفي ، أو ارشاد التائه إلى الطريق ، أو حمل قنديل الزيت في الظلمة ، مع التفكير بأن الذين يتمتعون بقوة النظر يستطيعون رؤية الاشباح ، هكذا « الدارما » شرح من قبل المعلم في أكثر من شكل . أنا نفسي أيها المعلم، سالجأ إلى بوذا كملاذ وسألجأ إلى الدارما كملاذ ، وسألجأ إلى السانغا [1] كملاذ [2]. ليتفضل المعلم بقبولي كعلماني، أنا الذي أريد أن اتخذ ملاذاً بقربه ، مهما طالت حياتي . ثم يا سيدي ، ليتفضل المعلم فيوافق على تناول احدى وجبات الطعام في بيتي برفقة جماعة الرهبان » ، وافق المعلم بسكوته .

— ٢ —

(فينايا — بيناكا — ١٥٦ — ١٥٧)

---

(١) طائفة الرهبان البوذيين .

(٢) انها عبارة الحلى الثلاث (تريراتنا) التي يتلوها الراهب البوذي ثلاث مرات يومياً .

لا أدرية بوذا

ذات يوم نهض مالون كيابوتا (Mâlunkyputta) من تأمله بعد الظهر ، وذهب لمقابلة بوذا ، حياه ، وجلس بقربه وقال :

« أيها السيد عندما كنت وحدي في تأملي ، طرأت علي هذه الفكرة : هنالك قضايا غير مفسرة ، متروكة جانباً ، ومرمية من قبل البار ، انها التالية :

١ ــ هل ان الكون أبدي خالد ؟

٢ ــ أم انه غير أبدي ؟

٣ ــ هل ان الكون متناهٍ ؟

٤ ــ أو انه لا متناه ؟

٥ ــ هل ان النفس والجسد شيء واحد ؟ أو

٦ ــ هل ان النفس شيء ، والجسد شيء آخر ؟

٧ ــ هل يوجد التاثاغاثا بعد الموت ؟ أو

٨ــ أو انه لا يوجد بعد الموت ؟ أو

٩ ـ انه في وقت موجود وغير موجود بعد الموت ؟

١٠ ـ او أنه في وقت معاً غير موجود ، وغير غائب بعد الموت ؟

هذه المسائل ، البار لا يشرحها لي . وذلك (ذلك الموقف) لا آرتاح إليه ، لا أقدره، سأذهب إلى السيد وأسأله عن الموضوع، فإذا لم يشرح لي ، سأترك عندئذ الجماعة وأرحل . إذا كان السيد يعرف أن الكون ليس خالداً ، ليقله . وإذا كـان السيد لا يعرف إذا كـان الكون خالداً أم لا ... الخ . حينئذ ، بالنسبة إلى شخص لا يعرف ، فان الصدق يحتم عليه أن يقول : «لا أعرف ، لا أرى»

ـ ... هل قلت لك يوماً يا «مالونكيابوتا» : «تعال يا مالونكيابوتا» ، اقض حياتك المقدسة تحت ادارتي ؛ فسأشرح لك تلك المسائل ؟ »

ـ كلا ، أيها السيد .

ـ إذن ، يا مالونكيابوتا ، هل أنت نفسك الذي قلت لي : «أيها السيد ، سأقضي الحياة المقدسة تحت ادارة البار ، والبار سيشرح لي تلك المسائل ؟ »

ـ كلا أيها السيد .

ـ وحتى الآن ، يا « مالونكيابوتا » لا أقول لك : « تعال واقض حياتك المقدسة تحت ادارتي ، سأشرح لك تلك المسائل » ولن تقول لي أيضاً : « أيها السيد ، سأقضي الحياة المقدسة تحت ادارة البار ، وسيشرح لي تلك المسائل » على هذا الأساس كم أنت أحمق ، إذ ان لا أحد يرفض أحداً .

« يا مالونكيابوتا » إذا قال أحدهم « لن أقضي الحياة المقدسة تحت إدارة البار إلى أن يفسر لي تلك المسائل ، فيمكن أن يموت قبل أن تجد تلك المسائل أجوبة من « التاثاغاتا » كأن يا « مالونكيابوتا » (افترض) يجرح رجل بسهم مسموم جداً ، فيأتيه أصدقاؤه وأهله بجراح ، والرجل الجريح يقول : « لا أسمح بأن ينزع هذا السهم ، قبل أن أعرف من الذي جرحني ، وهل هو « كشاتريا » (Kshatrya) (طبقة المحاربين) ، أو برهمي (طبقة رجال الدين) أو « فيشيا » (Vaiçya) (طبقة التجار والمزارعين) ، أو « شودرا (Cudra) (الطبقة الدنيا) ، ما اسمه من هي أسرته ، هل هو طويل ، أو قصير أو متوسط القامة . من أية قرية أو مدينة ، أو بلدة أتى ، لن أسمح بانتزاع هذا السهم قبل أن أعرف من أي نوع من الأقواس قد أطلق علي ، قبل أن أعرف أية ريشة قد وضعت في السهم ، قبل أن أعرف بأية

« طريقة قد صنع طرف السهم » . ان ذلك الرجل يـا « مالونكيابوتا » سيقضي دون أن يعرف تلك الأشياء . وهكذا يا « مالونكيابوتا » إذا قال أحدهم : « لن أقضي الحياة المقدسة تحت ادارة البار قبل أن يعطيني جواباً على تلك المسائل ، مثل « هل ان الكون خالد أبدي أم لا ... الخ » ، فانه سيموت مع تلك الأسئلة بدون أن يتلقى جواباً من قبل « التاثاغاتا » .

عندئذ شرح بوذا ، « لمالونكيابوتا » أن لا علاقة للحياة المقدسة بهذه الآراء ، فمهما كان الرأي الذي يمكن تكوينه عن تلك المسائل ، لا بد من وجود الولادة ، والشيخوخة ، والعجز والموت ، والبؤس ، والدموع ، والألم ، والتعب ، والشدة ، « التي أعلن « زوالها » (أي النيرفانا) حتى في هذه الحياة » .

« إذن يا مالونكيابوتا احفظ في فكرك اني فسرت كما فسرت ، واني لم أفسر كما لم أفسر ، ما هي الأشياء التي لم أشرحها ؟ إذا كان هذا الكون خالداً أو لم يكن ... الخ . (الآراء العشرة تلك) لم أشرحها . لماذا ، يا « مالونكيابوتا » لم أشرحها ؟ لأن ذلك ليس مفيداً ، ولأنه غير مرتبط أساساً بالحياة المقدسة ، والروحية ، وان ذلك لن يقود إلى الاشمئزاز ،

إلى التخلص ، إلى الانقطاع ، إلى الهدوء ، إلى الولوج العميق ، إلى التحقيق الكامل ، إلى « النيرفانا » ، لهذا السبب لم أتكلم .

« إذن يا مالونكيابوتا ، ماذا شرحت ؟ لقد شرحت « الدقة » (العذاب) . نشوء « الدقة » زوال « الدقة » ، والطريق الذي يقود إلى زوال « الدقة » . لماذا يا مالونكيابوتا شرحت تلك الأشياء ؟ لأن ذلك مفيد ، لأنه مرتبط أساساً بالحياة المقدسة والروحية ، ولأنه يؤدي إلى القرف ، والانقطاع ، والهدوء ، والولوج العميق ، والتحقيق الكامل، إلى « النيرفانا » ، لهذا السبب شرحتها » .

(ماجيما ــ نيكايا ، العدد ٦٣)

البوذا والبرهان

سأل مختار احدى القرى السيد : « هل ان التاثاغاتا تتلاءم مع جميع المخلوقات التي تعيش وتتنفس ؟ » أجاب السيد : « نعم أيها المختار » .

« ولكن ألا يعلم السيد الذارما للبعض دون الآخرين ؟ »

« ماذا تظن أيها المختار ؟ لنفرض أن مزارعاً يملك ثلاثة حقول : ممتاز ، ومتوسط ، وفقير ذي تربة سيئة . فاذا شاء رمي البذار ، فبأي حقل يبتدىء بالبذار ؟ »

« انه يرمي البذار أولاً في الحقل الممتاز ، ثم في الحقل المتوسط ، وبعدما ينتهي منهما ، ربما باشر في الحقل الفقير ذي التربة السيئة ، وربما لا يبذر فيه اطلاقاً ، ولماذا ؟ لأن الحقل الأخير ليس من الجودة بحيث يعطي محصولاً ».

«رهباني ، وراهباتي أيها المختار ، هم تماماً مثل الحقل الممتاز. فاليهم أوجه تعاليمي عن الذارما الذي هو ممتاز في البدء ، وفي الوسط ، وفي النهاية ، أمين للروح وللكلمة ؛ وأعرفهم حياة البراهمة المتممة بالكامل . والنقية تماماً . ولماذا ؟ لأنهم هم الذين سيبقون قربي ، انا الذي يعتبرونني نورهم . وحارسهم وقلقهم وملاذهم .

« ثم يأتي دور تلامذتي العلمانيين الذين يشبهون الحقل المتوسط . وإليهم أوجه أيضاً تعاليمي عن « الذارما » ... وأعرفهم بحياة البراهما المتممة بالكامل ، والنقية تماماً . لأنهم يبقون قربي أنا الذي يعتبرونه نورهم ، وحارسهم وقلعتهم وملاذهم .

« أما النساك ؛ والبراهمة ، والمشردون من غير جماعتي فهم الذين يشبهون الحقل الفقير والتراب السيء ، وإليهم أوجه أيضاً تعاليمي عن « الذارما » وأعرفهم بحياة البراهما المتممة بالكامل والنقية تماماً . ولماذا ؟ لأنها ستكون بالنسبة إليهم خلال وقت طويل مصدراً للسعادة والنعمة حتى ولو لم يفهموا الا جملة واحدة » .

(ساميوتا ــ نيكايا (٤) ، ٣١٤ ــ ٣١٦ .

عداوة بوذا للمراة

القواعد الثماني المفروضة على الراهبات

على الراهبة — ولو بلغت من العمر مائة سنة — أن تحترم الراهب ، فتنهض عند مقابلته ، وتحييه ويداها مضمومتان ، وتكرمه باحتراماتها ، حتى ولو لم يكن قبل في الرهبنة ، إلا النهار نفسه . قاعدة يجب أن تكرم وتجل ، وتبجل ، وتعبد ، ولا تنتهك طول الحياة .

على الراهبة أن لا تقيم في مقاطعة لا يوجد فيها راهب . قاعدة يجب ...

كل خمسة عشر يوماً ، على الراهبة أن تنتظر من أخوية الرهبان شيئين : تعيين اليوم الذي يجب أن يجري فيه الاحتفال « بالاوبوزاثا » (Uposatha) (الاعتراف العلني)» والوقت الذي يأتي فيه الراهب لاعطاء التعليمات ، قاعدة يجب ...

عند نهاية رياضة فصل الأمطار ، على الراهبة أن تدعو أعضاء الاخوتين وعضواتهما لينتقدوا ما رأوا ، وسمعوا ، وظنوا ، قاعدة يجب ...

إذ ارتكبت راهبة خطيئة كبيرة ، عليها أن تمارس نصف – شهر من التوبة تجاه الاخوتين . قاعدة يجب ...

وعلى الراهبة الجديدة التي مارست خلال سنتيها الأوليين القواعد الست ، أن تطلب من الجماعتين تكريسها . قاعدة يجب أن ...

ابتداء من هذا اليوم لن يسمح للراهبات أن يؤنبن رسمياً الرهبان ، ولكن يسمح للرهبان أن يؤنبوا رسمياً الراهبات ، قاعدة يجب ...

يا ، أناندا ، لو لم تهجر النساء الحياة البيتية ، إلى الحياة دون ملجأ في ظل العقيدة والسلوك المنصوص عليهما في « التاثاغاتا » لكان الدين بقي لمدة طويلة ، العقيدة الجيدة تبقى الف سنة . ولكن يا اناندا ، بما أن النساء ، الآن ، قد هجرن الحياة المنزلية إلى الحياة دون ملجأ في ظل العقيدة والسلوك المنصوص عليهما في « التاثاغاتا » فالدين لن يبقى

طويلاً ، العقيدة الجيدة لن تبقي يا « اناندا » إلا خمسمائة سنة . مثل تلك الأسر يا « اناندا » المؤلفة من نساء عديدات وقليل من الرجال ، التي يستطيع الأشقياء السيطرة عليها بسهولة ، هكذا الدين الآن ... لن يستمر مدة طويلة ، يا « أناندا » مثل ، حقل من الأرز المزدهر ، المثقل بنبات « الميديو » لا يصمد طويلاً ، هكذا الدين الآن ...لن يستمر مدة طويلة . يا « أناندا » كالرجل المستيقظ الذي يبني سداً على طول قطعة كبيرة من الماء كي لا يفيض الماء عن حدوده ، هكذا فرضت بيقظة تلك القواعد القاسية الثماني التي يجب أن لا تنتهك طول الحياة . (شولا — فاغا)١٠، وارن، البوذية في ترجماتها ، صفحة ٤٤١) .

* * *

الحقيقة المقدسة الاولى

الحقائق المقدسة الأربع

موعظة « بناريس » (Bénarès)

يوجد طرفان اقصيان ، أيها الرهبان ، على من يمارس حياة روحية أن يبقى بعيداً عنهما . ما هما هذان الطرفان الأقصيان ؟ أحدهما حياة المتعة الغارقة في الملذات والشهوة ، انها سافلة ، محتقرة ، معادية للروح ، شائنة لا طائل منها . والآخر حياة التقشف وهي حزينة مقيتة ، لا طائل تحتها . عن ذينك الطرفين الأقصيين ، أيها الرهبان ، عمل « الكامل » على أن يبقى بعيداً ، واكتشف الطريق الذي يمر في الوسط ، الطريق الذي يفتح العينين والروح ، ويقود إلى الراحة ، والعلم ، إلى الاشراق ، إلى « النيرفانا » ؟ وذلك الطريق المقدس ذو المتفرعات الثمانية هو الذي يسمى الايمان الصافي ،

الارادة الصافية ، التعبير الصافي ، العمل الصافي ، وسائل العيش الصافية ، الانكباب الصافي ، التأمل الصافي ، انه هناك ، أيها الرهبان طريق الوسط الذي اكتشفه الكامل ، والذي يفتح العينين والروح ، ويقود إلى الراحة ، إلى العلم ، إلى الاشراق إلى النيرفانا .

ها هي ذي ، أيها الرهبان ، الحقيقة المقدسة عن الألم : الولادة ألم ، الشيخوخة ألم ، الداء ألم ، الموت ألم ، الوحدة مع من لا نحب ألم ، الانفصال عمن نحب ألم، عدم الحصول على الرغبة ألم ، وباختصار ، ان المجاميع الخمسة للارتباط [1] الم . تلكم أيها الرهبان ، لحقيقة المقدسة عن مصدر الألم ، انه الظمأ (ظمأ للحياة) الذي يقود من تقمص إلى تقمص ترافقه اللذة والشهوة ، ويجد هنا وهناك لذة ، الظمأ للذة ، الظمأ للحياة ، الظمأ لعدم الاستمرارية .

وها هي ذي أيها الرهبان ، الحقيقة المقدسة عن الغاء الألم ، ارواء ذلك الظمأ بالقضاء الكامل على الشهوة ، بالغاء

---

(١) انها المجموعات الخمسة ، أو المجمعات (سخاندا) من الاحداث : وهي المادة ، الاحساسات ، الادراكات الحسية ، الارادة ، والوعي .

الشهوة ، بالتخلي عنها ، بالتخلص منها ، بعدم اتاحة مكان لها .

« تلكم أيها الرهبان ، الحقيقة المقدسة عن الطريق الذي يقود إلى القضاء على الألم ، انه الطريق ذو المتفرعات الثمانية المسماة : الايمان الصافي ، الارادة الصافية ، التعبير الصافي . العمل الصافي ، وسائل العيش الصافية ، الانكباب الصافي ، الذاكرة الصافية ، التأمل الصافي .

« تلكم هي الحقيقة المقدسة عن الألم . وهكذا ، أيها الرهبان ، على تلك الأفكار التي لم يسمع عنها انسان شيئاً من قبل ، تفتحت عيناي ، المعرفة ، هكذا تفتح لي بشأنها العلم والمعرفة ، والاطلاع ، والحدس – تلك الحقيقة المقدسة عن الألم ، يجب تفهمها – تلك الحقيقة المقدسة عن الألم تفهمتها ، هكذا ، أيها الرهبان على تلك الأفكار التي لم يسمع عنها انسان شيئاً من قبل ، تفتحت عيناي ، وهكذا تفتح لي بشأنها العلم . والمعرفة ، والاطلاع والحدس .

وطول الوقت أيها ، الرهبان ، الذي لم أكن أملك به تجاه تلك الحقائق المقدسة ، بوضوح تام ، تلك المعرفة ، وذلك الحدس الصادقين المتبلورين في ثلاث مواد واثني عشر

جزءاً [1] ، هكذا طويلاً ، أيها الرهبان كنت أعرف أيضاً أن في هذا العالم ، مع عوالم الآلهة ، ومع عالم « مارا » [2] و « براهما » [3] ، وداخل الكائنات جميعها بما فيها النساك والبراهمة ، والآلهة والبشر، كنت أعرف اني لم أبلغ المرتبة الأسمى لبوذا ، إنما ، أيها الرهبان ، منذ أن أصبحت تجاه تلك الحقائق المقدسة ، امتلك بوضوح تام تلك المعرفة وذلك الحدس الصادقين المتبلورين في ثلاثة مواد واثني عشر جزءاً ، منذ ذلك الوقت ، أيها الرهبان ، أصبحت أعرف ، اني في هذا العالم ، وعوالم الآلهة ، وعالم « مارا » وبراهما ، وداخل الكائنات جميعها بما فيها النساك ، والبراهمة ، والآلهة ، والبشر ، قد بلغت المرتبة الأسمى لبوذا ، لقد عرفتها

---

(١) المظاهر الثلاثة للحقائق المقدسة الأربع هي :

أ – معرفة الحقائق المقدسة الأربع ؛

ب – معرفة طريقة تحركها ؛

ج – معرفة اتمام تحركها ، والأشكال الاثنا عشر تنال بتطبيق المظاهر الثلاثة على كل واحدة من الحقائق المقدسة .

(٢) اله الشرور ؛

(٣) اله البانتيون الهندي ويشكل ثلاثياً مع « فيشنو » و « شيفا » ، وهو يمثل البراهمان الالهي .

ورأيتها : روحي لقيت الخلاص إلى الأبد ، انها ولادتي الأخيرة ، لن يكون بعد ذلك بالنسبة إلي ولادات جديدة » .

(فينايا – بيتاكا) ١٠ وما يليها

اولدنبرغ – فوشيه : « البوذا : حياته عقيدته ، طائفتة ١٨٩٤ » .

الطريق الوسط

جرى قبول «سونا كوليفيزا » (SonaKolivisa) ابن أحد التجار في الأخوية بحضور السيد . وبسبب المواظبة التي كابدها في رواحه ومجيئه وهو يفكر ، تمزقت قدماه ، وتلطخ التراب حيث كان يأتي ويروح بالدم ، كما لو أن حيواناً قد ذبح فوقه . وعندما استغرق ، سونا ، وحده في التامل ، قال في نفسه : « مريد و السيد الذين أنا واحد منهم ، قد حددوا لهم هدف : رعاية المواظبة ولكن روحي رغم ذلك لم تتحرر من أدرانها ، ولم تفقد بعد ارتباطهسا . ومن حسن الحظ أن الممتلكات التي ورثتها عن الأسرة لا تزال موجودة ، فلماذا لا أرجع إلى حياتي السفلى ، واتمتع بثروتنا ، وأقوم بأعمال الخير » .

تكهن السيد بأفكار المبجل سونا ، فوجه إليه الكلام قائلاً : « يا سونا ، في الوقت الذي كنت فيه رب أسرة ،

هل كنت تعزف جيداً على العود ؟ »

— أجل أيها السيد .

— عندما كانت أوتار العود مشدودة جداً ، هل كان العود معيّر النغم جيداً وصالحاً للعزف (الدوزنة) ؟

— كلا أيها السيد .

— وعندما كانت الأوتار مرتخية جداً ، هل كان العود معير النغم جيداً وصالحاً للعزف ؟

— كلا أيها السيد .

— ولكن عندما لم تكن الأوتار مشدودة جداً ولا مرتخية جداً ، وإنما متفقة مع معيار النغم ، هل كان عودك معير النغم صحيحاً ، وصالحاً للعزف ؟

— نعم أيها السيد .

— هكذا ، « سونا » ، الكثير من المواظبة يؤدي إلى التبلبل ، والقليل من المواظبة يؤدي إلى الكسل ، ولهذا عليك يا سونا ، أن تعرف كيف تختار المعيار الصحيح ، للمواظبة »

(فينايا — بيتاكا ، ١٨٢)

اللااستمرارية

حينئذ اقترب الملك « ميناندر » من المكان حيث كان المبجل « ناغازينا » ، ولما اقترب حيا المبجل « ناغازينا » ، وانهى مراسيم الصداقة والمجاملات ، ثم جلس باحترام إلى جانبه . ورد المبجل « ناغازينا » التحية واستطاع بذلك في الواقع أن يكسب قلب الملك « ميناندر » . وتحدث الملك « ميناندر » إلى المبجل « ناغازينا » بهذه العبارات « ماذا تدعى أيها المبجل ؟ أيها المبجل ما اسمك ؟ » .

— « مولاي ، أدعى ناغازينا ، البيكو رفاقي يا مولاي ينادونني « ناغازينا » ، ولكن كم من الأهل يعطون لأحد أبنائهم اسم « ناغازينا » أو « شورازينا » ، أو « فيرازينا » ، أو « سيهازينا » وليس في هذا يا سيدي سوى طريقة للتفريق ، سوى عبارة ، تسمية ، دليل عملي ، اسم مجرد هـذا

« الناغازينا » ، إذ لانجد في ذلك ذاتية ، شخصية ما .

حينئذ قال الملك « ميناندر » اصغوا إلي يا سادتي ، أنتم ، « اليوناكا » الخمسمائة ، (ايونيين أعني اليونان) رعايا الملك ميناندر . وأنتم « البيكو » الزهاد الثمانين ألفاً ، ان ناغازينا يقول لنا الآن ما يلي :

« ليس من « ذاتية » . هل من الممكن ، أرجوكم أن أوافق على ما يقوله هنا ؟ »

— وتحدث الملك ميناندر إلى المبجل « ناغازينا » بهذه العبارات : « أيها المبجل ناغازينا ، إذا لم يكن هناك ذاتية فمن يؤمن لكم ، أنتم الزهاد « البيكو » ، ما هو ضروري للزهاد — الأثواب ، الطعام ، المنام ، والأدوية للمرضى ؟ من إذن يستخدم كل ذلك ؟ من يحافظ على التقاليد ؟ من ينصرف إلى التأمل ؟ من يبلغ طريق النيرفانا وثمرتها ، من يحطم الحياة ؟ من يأخذ ما لم يعط له ؟ من ينصرف إلى سوء الخلق؟ من يختلق الأكاذيب؟ من يحتسي المشروبات المسكرة؟ من يرتكب الجرائم الخمس التي تستحق القصاص في الحياة التالية ؟ في هذه الحالة لن يكون هناك جزاء ، ولن يكون عقاب . وإذا لن يكون هناك من يؤدي أو يجعل الآخرين

يؤدون أعمالاً تستحق الثواب أو العقاب ، والأعمال سواء كانت صالحة أم سيئة ، لا يمكن أن يكون لها لا ثمار ولا نتائج ، أيها المبجل ، « ناغازينا » ، لن يكون هناك مجرم يقتل أحد رجال الدين (البيكو) ، وأنتم أيها « البيكو » « الناغازينا » المبجلون ، لن تستطيعوا أن تتخذوا لكم معلماً ، مهذباً ، أو أخوية . عندما تقولون : أيها البيكو ، يا رفاقي ! صاحب الجلالة يدعوني « ناغازينا » ، فمن هو ناغازينا هذا ؟ أرجوك ، أيها المبجل ، هل ان شعر الراس ،ناغازينا » .

— « أبداً ، في الواقع ، أيها السيد » .

— وزغب الجسد هل هو « ناغازينا » ؟

— أبداً ، في الواقع أيها السيد .

— « الأظافر .. الأسنان .. الجلد ... اللحم ... الأعصاب ... العظام ... مخ العظام ... الكليتان ... القلب ... الكبد ... الغشاء ... الطحال ... الرئتان ... الامعاء ... المساريقة [1] ... المعدة ... الغائط ... الصفراء ... البلغم ... الصديد ... الدم ... العـرق ... الشحم ... الدموع ... اللنف ... اللعاب ... المخاط الانفي ... السائل الزلالي ... البول ... المخ ... هل هي ناغازينا » ؟

---

(١) غشاء يغلف الامعاء ويربطها بجدار البطن .

– « أبداً في الواقع أيها السيد ! »

– « والآن ، هل ان الشكل ، أيها المبجل ناغازينا ؟ »

– أبداً في الواقع ، أيها السيد !

– هل الاحساس ناغازينا ؟

– أبداً في الواقع ايها السيد !

– هل الادراك الحسي ناغازينا ؟

– أبداً : في الواقع ، أيها السيد !

– الميول ، هل هي ناغازينا ؟

– أبداً ، في الواقع ، أيها السيد !

– الوعي هل هو ناغازينا ؟

– أبداً ، في الواقع ، أيها السيد !

– والآن أيها المبجل الشكل ، والاحساس ، والادراك الحسي ، والميول ، والوعي مجتمعة هل هي ناغازينا ؟

– أبداً ، في الواقع ، أيها السيد !

– أيها المبجل ، هل يوجد شيء آخر غير الشكل، والأحاسيس والادراك ، والميول ، والوعي ، يكون ناغازينا ؟

– أبداً ، في الواقع ، أيها السيد !

ـ أيها المبجل : مهما سألتك عن كثب ، لم أستطع اكتشاف الناغازينا . فالناغازينا في الواقع ، إذن ليس ، أيها المبجل ناغازينا سوى فراغ . من هو إذن الناغازينا الحاضر ؟ قولك خطأ ، كاذب لا يوجد ناغازينا .

حينئذ المبجل ناغازينا تكلم هكذا إلى الملك ميناندر :

« أيها الملك ، أنت أمير رقيق ، أمير فائق الرقة ، فإذا مشيت أيها الملك وسط النهار على أرض من الرمل الحار ، وإذا دست بقدميك حصى أو رملاً حارين فان قدميك ستحترقان ، ويصاب جسدك بالتعب ، ويتبلد ذهنك ، وتدرك أنك تتألم جسدياً ، قل لي هل جئت ماشياً ، أو راكباً عربة ؟ »

ـ أيها المبجل ، لم أجيء ماشياً ، بل جئت راكباً عربة .

ـ أيها الملك إذا جئت راكباً عربة ، فدعني أتعرف إلى العربة. أرجوك أيها الملك قل لي هل أن العريش هو العربة؟

ـ أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل !

ـ هل ان المحور هو العر بة ؟

ـ أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل .

ـ هل ان العجلات هي العربة ؟

— أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل !

— هل ان الصندوق هو العربة ؟

— أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل !

— هل ان القنديل المثبت في الهيكل ، هو العربة ؟

— أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل !

— هل ان النير هو العربة ؟

— أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل !

— هل ان الأعنة هي العربة ؟

— أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل !

— هل ان المنخس هو العربة ؟

— أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل !

— رجاء أيها الملك ، العريش ، والمحور ، والعجلات ، والصندوق ، والقنديل المثبت على الهيكل ، والنير ، والأعنة ، والمنخس ، هل هي العربة ؟

— أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل !

— أيها الملك ، هل يوجد شيء آخر غير العريش ، والمحور والعجلات ، والصندوق ، والقنديل المثبت على الهيكل ،

والنير ، والأعنة ، والمنخس ، يكون العربة ؟

— أبداً ، في الواقع ، أيها المبجل ؟

— أيها الملك ، مهما طرحت عليك من أسئلة عن كثب لم أقدر أن أكتشف ما هي العربة ، في الواقع ، الآن ، أيها الملك ان كلمة عربة ليست إلا صوتاً فارغاً ، ما هي إذن تلك العربة التي تزعم أنك جئت فيها ؟ أيها الملك كلامك خاطىء وكاذب ، ليس هنالك عربة . أيها الملك ، انت الملك الأسمى في جميع القارة الهندية ، ممن تخشى حتى تقول الكذب ؟ اصغوا إلي يا سادتي ، أنتم « اليوناكا » (اليونانيين) الخمسمائة ، وأنتم البيكو الثمانين ألفاً . لقد قال الملك ميناندر ما يلي : « لقد أتيت راكباً عربة » وعندما سئل : « مولاي لقد جئت راكباً عربة ، فأتح لي التعرف إلى العربة » لم يستطع أن يجعلكم ترون عربة ، فهل من الممكن ، أرجوكم ، أن أوافق على ما يقوله هنا ؟ »

وعندما تكلم هكذا ، هتف « اليوناكا » الخمسمائة للمبجل « ناغازينا » ، وقالوا للملك ميناندر : « يا مولانا أجب الآن إذا كنت تستطيع ! »

حينئذ قال الملك ميناندر للمبجل « ناغازينا » : «

« أيها المبجل « ناغازينا » : اني لا أكذب ، فكلمة عربة ليست إلا طريقة للتمييز ، الا عبارة واسماً ، ودلالة عملية ، واسماً للعريش ، والمحور : والعجلات ، والصندوق ، والقنديل المثبت على الهيكل » .

— تماماً أيها الملك : هكذا تفهم عربة ، وانها الطريقة نفسها بالنسبة لي أيها الملك ، وان « ناغازينا » ليس إلا طريقة للتمييز . الا عبارة ، اسماً ، دلالة عملية واسماً بسيطاً لشعرتي ، وزغبي ... ودماغي ، والشكل ، والاحساس ، والادراك الحسي ، والميول ، والوعي ، إنما في المعنى المطلق، لا تجد ذاتية هنا. والكاهنة « فاجيرا » (Vajira) يا مولاي، قالت أمام البار ما يلي : « كما أن كلمة (عربة) تعني أن الأجزاء تتحد لترسم مجموعة ، هكذا عندما تظهر المجموعات تستعمل عبارة : (كائن حي) » .

— « ذلك رائع أيها المبجل ناغازينا ، رائع ، أيها المبجل ناغازينا ! كم هي براقة وسريعة روح أجوبتك — لو أن البوذا كان لا يزال حياً، لكان هتف لك : جيد جداً ، جيد جداً يا « ناغازينا » ! كم هي براقة وسريعة روح أجوبتك! »

(ميليندا بانها ٢٥، ١، في هنري كلارك وارن، البوذية في الترجمات ، ١٨٩٦، ص ١٢٩) .

الالم

ـ « هل ان الذات هي سبب الألم ، أيها العزيز غوتاما ؟ »

ـ كلا ، يا « كسّابا » (Kassaba)

ـ هل أحد آخر هو السبب ؟

ـ كلا .

ـ إذن الاثنان ، الذات والأحد الآخر .

ـ كلا يا كسّابا .

ـ إذن الألم غير موجود ؟

ـ كلا كسّابا ، لا أستطيع القول أنه لا يوجد ألم ، إذ ان الآلام موجودة .

ـ إذن أستنتج ان العزيز غوتاما لا يعرف الألم ولا يراه ؟

ـ لا اريد القول اني لاأعرف الألم، واني لا أراه. اني أعرفه واراه .

ـ على أسئلتي جميعها أجبت أيها العزيز « غوتاما » بالنفي ، ومع ذلك قلت انك كنت تعرف الألم وانك كنت تراه ، أيها المعلم ، ليشرح لي المعلم الألم ، وليعلمني إياه .

ـ من يقل : « ان من يقوم بعمل ، هو نفسه الذي يتحمل نتائجه » يقل بهذا : انه منذ وجود الكائن وجد الألم بفعل هذا الكائن نفسه ، مما يؤدي إلى فكرة الأزلية . ومن يقل : « الواحد يقوم بعمل والآخر يتحمل نتائج هذا العمل، يقل بهذا ، إذا كان الواحد يكابد الألم ، فان هذا الألم مسبب من قبل آخر ، مما يؤدي إلى فكرة الزوال » .

« وان التاثاعاتا بتجنبه ذينك الميزتين ، يعلم « الذارما » بطريقه المتوسط : التشكيلات « الكارمية » مشروطة بالجهالة ... الخ . ذلكم هو مصدر كل تلك المجموعة من الآلام . إذ من الالغاء الكامل لتلك الجهالة نفسها ، يتأتى الغاء التشكيلات الكارمية ... الخ . وهكذا تلغى كل تلك المجموعة من الآلام »

(ساميوتا ـ نيكايا (٢) ، ١٩ ـ ٢١)

ادانة الانتحار

ـ أيها المبجل « ناغازينا » البار قال ما يلي :

« أيها البيكو ، فليتجنب كل انسان تدمير نفسه . وكل من يدمر نفسه ، يجب أن يحاكم حسب القانون » .

ولكنكم أيها « البيكو » تقولون من جهة أخرى : « عندما كان البار يعلم العقيدة ، تلامذته ، كان يعلم بطرق مختلفة كثيرة الغاء الولادة ، والشيخوخة والمرض والموت ، وفي الواقع ، إذا استطاع أحدهم الغاء الولادة ، والشيخوخة . والمرض والموت ، نال منه أحر الثناء على ذلك » .

« يا ناغازينا ! إذا كان البار قال هذا الكلام ، فانه من الخطأ الأكيد أن يقول انه يعلم الغاء الولادة ، والشيخوخة ،

والمرض ، والموت ، وإذا علم بذلك ، فمن الخطأ الأكيد حينئذ أن يقول هذا الكلام » .

هي ذي معضلة أخرى عليك حلها .

— يا مولاي ، البار قال هذا الكلام . وعندما كان البار يعلم تلاميذه ، كان يعلم بوسائل مختلفة كثيرة ، الغاء الولادة ، والشيخوخة ، والمرض ، والموت . إنما هنالك سبب لذلك الحظر ، وسبب أيضاً لصدور تلك النصيحة من البار .

— ما هي أسباب ذلك إذن ... أيها المبجل « ناغازينا » ؟

— الانسان الفاضل والحسن السلوك ، يا مولاي ، يشبه الدواء الذي يقضي على سم الفساد البشري . انه كعشبة شافية تطفىء داء الفساد البشري ، يشبه الماء ، الذي يغسل قذارة الفساد البشري وأوساخه ، يشبه القلادة السحرية التي تمنح الثروة الجيدة للناس ، يشبه المركب الذي يعبر حتى الضفة الأخرى التيارات الأربعة لآفات الانسان ، يشبه قائد القافلة الذي يقود الناس في صحراء الولادة ، كالهواء العليل الذي يطفىء لدى الانسان ، حروق الحمى الثلاثية ، كسحابة كبيرة تحيي آمال الانسان ، « كمعلم » يدرب الناس على نيل الثواب ، كمهذب ماهر يدل الناس على طريق السلام .

يا مولاي ، ومن أجل أن لا يزول الانسان الفاضل الذي تختلف هكذا فضائله ، وتتعدد ، وتتكاثر إلى ما لا نهاية ، والذي يجسد الفضائل الحسنة ويجمعها . والذي هو مصدر الأعمال الحسنة ، من أجل الانسانية . وجه البار رحمته . وأصدر تلك التوصية :

« أيها البيكو ، فليتجنب كل انسان تدمير نفسه . وكل من يدمر نفسه ، يجب أن يحاكم حسب القانون » .

في هذا ، يا مولاي ، سبب ذلك الحظر من قبل البار .

وفوق ذلك يا مولاي ، هوذا ما قاله المبشر اللامع الحكيم « كومارا – كسّابا » في عرضه عن عالم المستقبل إلى الأمير « بايازي » (Payasi) : « أيها الأمير ! كلما عاش الرهبان الصالحون ، والنبلاء ، والبراهمة طويلاً ، كلما عملوا أحسن من أجل خير المجموع ، من أجل سعادة المجموع ، من أجل نشر رحمتهم على العالم ، ومن أجل مصلحة الآلهة والبشر . وخيرهم وسعادتهم » .

– ولكن ما كان سبب تحظير البار ؟

– يا مولاي ، الولادة هي بؤس ، الشيخوخة هي بؤس . المرض هو بؤس ، الموت هو بؤس ، التعب هو بؤس ، البكاء

هو بؤس ، البؤس هو بؤس ، الغم هو بؤس ، اللقاء مع من لا تحب بؤس ، وفراق من يحبنا بؤس ، موت والدة أو أب ... أو أخ ... أو أخت .... او ابن .... أو زوجة ... أو قريب ... المصائب التي تلحق قريباً ، انها بؤس . فقدان الصحة ... الثروة ... السمعة ... الاستقامة ، بؤس ، مواجهة غضب الملك ... الخوف من الأشقياء ، والأعداء ، والمجاعة ، والحريق ، والغرق ، والأمواج، والتيارات السريعة ، والتماسيح ، ومسوخ البحر ، بؤس . ادانة الانسان من قبل نفسه ، ادانته من قبل الآخرين ... تحمل الغرامة ... والفقر ... تهيب الممثلين ... الخوف من الزهاد العراة ... التعرض لخطر الهلاك ... تلقي ضربات العصا ، والسوط ، والمقرعة ... قطع اليدين والرجلين ، أو اليدين والرجلين جميعاً ... قطع الأذنين ، جدع الأنف أو الأذنين والأنف جميعاً .... تحمل « قدر البرغل » ، « اكليل الصدف » ... وشدق « الراهو » (Râho) ، « والاكليل الناري» « وحرق الأيدي » « وأوراق العشب » و « الصنارة » « وقطع الأعضاء » « والنحت بالأسيد » « والمحور » «ووسادة القش »[1] ، بؤس . الوضع في الزيت الغالي ... الافتراس

(١) كلها طرق تدل على التعذيب .

من قبل الكلاب ... الحوزقة حياً ... وقطع الرأس بؤس . تلك ، تلك يا مولاي أنواع من البؤس مختلفة ومتعددة نلقاها عند ميلادنا من جديد :

وكما أن مياه نهر « الغانج » يا مولاي ، بعدما ينحدر من جبال « هملايا » ، تلقي في طريقها الحجارة ، والحصى ، والهوات ، والدوارات ، والحواجز ، والمعيقات ، والجذوع ، والأغصان ... هكذا الناس يا مولاي ، يلقون أسباب البؤس المختلفة والمتعددة ، خلال ، ميلادهم من جديد .

الصيرورة يا مولاي بؤس ، واللا ـ وجود هو السعادة. ولهذا السبب يا مولاي ، عندما كان البار يشرح ميزة اللا ـ وجود ، ورعب الوجود ، كان في الوقت ذاته يحضنا وينصحنا على تحقيق اللا ـ وجود بقهر الولادة ، والشيخوخة ، والمرض ، والموت .

في ذلك ، يا مولاي ، سبب نصيحة البار .

ـ حسناً جداً ، أيها المبجل « ناغازينا » ، فقد حلت الصعوبة حلاً جيداً ، والشرح المقدم كان جيداً ، أوافقك على أن الأمر كذلك .

(ميليندا بانها ١٩٥ ، ترجمة وارن :
البوذية في ترجماتها ، ١٨٩٦ ، ص ٤٣٦)

الحقيقة المقدسة الثانية

قاعدة النتاج المشروط

التشكيلات الكارمية تنبثق مشروطة من الجهالة ،
الوعي يبرز مشروطاً من التشكيلات الكارمية .
ويحصل الاسم والشكل مشروطين من الوعي .
وتحصل المجالات الحسية الستة مشروطة من الاسم والشكل .
ويحصل الاحتكاك مشروطاً بالمجالات الحسية الستة .
ويصدر الاحساس مشروطاً بالاحتكاك .
ويحصل التوق مشروطاً بالاحساس .
ويحصل الارتباط مشروطاً بالتوق .
وتحصل الصيرورة (الوجود) مشروطة بالارتباط .

وتحصل الولادة مشروطة بالصيرورة .
وتحصل الشيخوخة والموت والأسى والدموع والألم والحزن
والعذابات مشروطة بالولادة .
هوذا مصدر كل تلك المجموعة من الآلام .

غير ان تدمير الجهالة يؤدي إلى تدمير التشكيلات الكارمية ؛ وتدمير التشكيلات الكارمية يؤدي إلى تدمير الوعي ، وتدمير الوعي يؤدي إلى تدمير مجموعة الجسد والروح ، وتدمير مجموعة الجسد والروح يؤدي إلى تدمير المجالات الحسية الستة . وتدمير المجالات الحسية الستة يؤدي إلى تدمير الاحتكاك ، وتدمير الاحتكاك يؤدي إلى تدمير الاحساس ، وتدمير الاحساس يؤدي إلى تدمير التوق (الظمأ) ، وتدمير التوق يؤدي إلى تدمير الارتباط ؛ وتدمير الارتباط يؤدي إلى تدمير الصيرورة (الوجود) . وتدمير الصيرورة يؤدي إلى تدمير الولادة ، وتدمير الولادة يؤدي إلى تدمير الشيخوخة ، والموت ، والأسى ، والدموع ، والألم ، والحزن والعذابات.
هكذا يجري تدمير كل ذلك الحشد من الآلام .

(افينايا — بيتاكا — ١ —)

الحقيقة المقدسة الثالثة

مثل الطوف

أيها الرهبان ، ساعلمكم « الدارما » – مثل الطوف – من أجل الانفعال ، لا من أجل حمله، اصغوا إليه ، وانتبهوا جيداً ، وأنــا سأرويه لكم .

يمكن للانسان السائر في طريقه أن يجد مجمعاً كبيراً من الماء. والضفة الواقعة من جهته خطرة ومخيفة، بينما الضفة الأخرى أمينة ولا خطر فيها . فاذا لم يجد قارباً للانتقال ، أو جسراً ليذهب من هنا إلى هناك يمكن أن يفكر في نفسه : ماذا لو جمعت أخشاباً ، وأعشاباً ، وغصوناً ، وأوراقاً لاصنع طوفاً. « ومن ثم إذا سلمت نفسي للطوف، واستخدمت يدي ورجلي فسوف انتقل إلى الضفة الأخرى » : وعندما ينفذ هذا التصميم ، يمكنه أن يفكر عندما يصل إلى الضفة الأخرى كما يلي : « كان هذا الطوف ، لي عوناً كبيراً ، فبلجوئي إليه وباستخدامي يدي ورجلي ، انتقلت بآمان إلى الضفة الأخرى،

ربما سيكون حسناً أن أحمل هذا الطوف فوق رأسي وأرفعه على كتفي قبل أن أكمل طريقي» حسنا أيها الرهبان ان الرجل بتصرفه على ذلك الشكل ، هل أحسن التصرف بالنسبة إلى الطوف » .

— كلا أيها المعلم

— « إنما أيها الرهبان . يمكنه أن يقول في نفسه بعد وصوله إلى الضفة الأخرى : « لقد كان لي هذا الطوف عوناً كبيراً فبلجوئي إليه واستخدامي يدي ورجلي ، انتقلت بآمان إلى الضفة الأخرى . سيكون حسناً الآن ان أضع هذا الطوف على الأرض، أو أغرقه قبل أن أكمل طريقي ». أيها الرهبان انه بذلك يكون قد تصرف تصرفاً ملائماً تجاه الطوف ، وهكذا ، بهذا المثل عن الطوف : اعلم ان « الذارما » وضع من أجل الانتقال : لا من أجل أن يحمل ، وبفهم هذا المثل عن الطوف ، عليكم أيها الرهبان أن تهجروا الميول الروحية السليمة ، وبشكل أولى تلك التي ليست سليمة .

(ماجيما — نيكايا — ١ — : ص ١٣٤ — ١٣٥)

---

(١) الذارما لا يرد عن حب الاستطلاع الفكري فغرضه الوحيد قيادة الناس نحو « النيرفانا » .

الانتقال

الرجل الذي يرتمي في الأمواج
الصاخبة والهادرة في سرعة وحشية
والذي يجرفه التيار
كيف يمكنه مساعدة آخرين على اختراقها .
مثل الذي يركب قارباً قوياً
مجهزاً جيداً بالمجاذيف والدفة .
ويمكنه أن يساعد آخرين على الانتقال
إلى مكان مجرب ، يعرف طرق الوصول إليه .
هكذا ، الذي بمشيئته قد تدرب على الشريعة :
بالحزم نفسه الذي يبديه عندما يصغي إليها ؛
يستطيع مساعدة آخرين على معرفتها
المغامرين ذوي الآذان المنتبهة .

(سوتا – نيباتا (٣١٩) ، ص ٣٢١ – ٣٢٢)

حالة خلاص البوذا

يوماً ما، كان المعلم موجوداً قرب «سافاتي» (Savat-thi) وكان يروّح عن الرهبان ، ويوقظهم ، وينشطهم ، ويفرحهم ، بواسطة موعظة عميقة عن « النيرفانا » ، وكان الرهبان يصغون إليه بانتباه مستعينين بجميع طاقتهم الفكرية ، عندئذ طرأت على« مارا » الماكر فكرة : « لماذا لا أتوجه إلى هذا الناسك غوتاما ، بينما هو يروح عن الرهبان بالمو اعظ عن النيرفانا ، لكي ابلبله قليلا ؟ » وهكذا ، اتخذ « مارا » الماكر شكل فلاح ، وحمل محراثاً كبيراً على كتفه ، وتناول عصا طويلة منتهية بمنخس (مساس) ، وبشعر اشعث ، وبثياب غليظة من القطن ، وبقدمين يغطيهما الوحل ، توجه نحو المعلم وقال :

— أيها الناسك هل رأيت ثيراناً ؟

– ماذا تريد أن تصنع أيها الماكر بالثيران ؟

– العين تخصني أيها الناسك ، الأشكال المادية تخصني ؛ المدى البصري يخصني ، أين تستطيع أن تذهب أيها الناسك كي تتخلص مني ؟ لي وحدي، أيها الناسك، الاذن ، والأصوات والاحتكاكات ، والمدى السمعي ، والأنف ، والروائح ؛ والمدى الشمي ؛ الاتصالات والمدى اللمسي ، لي وحدي أيها الناسك الروح ؛ لي المظاهر الذهنية ، لي المدى الفكري .

– كل تلك لك وحدك أيها الماكر، ولكن حيث كل تلك ليست موجودة ؛ لا نفاذ لك إليه » .

مارا : « كل ما يسمونه ، لي » ، وكل الذين يقولَون : « هذا لي » إذا كنت تشاطرهم آراءهم ، أيها الناسك لا تستطيع أن تتخلص مني » .

المعلم : « ان ما يتحدثون عنه ليس خاصتي » ، بالنسبة إلى الذين يقولون بعدم وجود « الذات » .

« تنكر أيها الماكر ان الأمر كذلك . انك لن تستطيع حتى أن ترى السبيل الذي اتبعه »

(ساميوتا – نيكايا (١) ، ص ١١٤ – ١١٦)

طريق النيرفانا(١)

— « يا أناندا ! عندما بلغ « ساريبوتا » « النيرفانا » النهائية هل حمل جسد العادة الروحية ، والتركيز ، والحكمة ، والحرية ، والمعرفة ، ومعرفة الحرية » .

— « كلا أيها السيد »

— « لم يسبق لي يا أناندا ، ان الححت على أن كل ما هو محبوب وعزيز ، يحمل في ذاته طبيعة الخلاف ، والفراق ، والتغيير ؟ من المستحيل أن نقول حول موضوع كل ما ولد ، وصار ، وتشكل ، وحكم عليه بالذوبان : « اوه .

(١) تعني كلمة نيرفانا الاطفاء بالنفخ أو التبريد :

أ — النفخ يشير إلى الملاشاة .

ب — التبريد يعني أن الملاشاة لم تصبح تامة ولكن السورة العنيفة قد خبا أوارها ، وخف سعيرها . « المعرب »

على هذا ان لا يذوب ، وكما أن غصناً كبيراً من شجرة كبيرة ، قوية وجبارة معرض لليباس ، هكذا « ساريبوتا » بلغ « النيرفانا » بتركه أخوية الرهبان القوية والجبارة . عش إذن ، يا أناندا بطريقة تكون لك « الذات » بمثابة جزيرة ، تكون لك « الذات » كملاذ وحيد .

— « كيف العمل ؟ »

— « يا أناندا ، الناسك يعيش من أجل هذا الهدف ، متأملاً الجسد في الجسد ، منكباً ، متفهماً له بوضوح ، ومنتبهاً إليه ، وكذلك يتأمل المشاعر في المشاعر ، الفكر في الفكر ، والتشكيلات الذهنية في التشكيلات الذهنية ، كي يتغلب على شهوة العالم ، وثبوط الهمة الناتج عنها » .

(ساميوتا — نيكايا — ٥ — ، ص ١٦٢ — ١٦٣)

النيرفانا

«أيها المبجل «ناغازينا» نرى في العالم أشياء تنتجها «الكارما»، وأشياء تنتجها الأسباب، وأشياء تنتجها الطبيعة. فاذكر لي، ما في العالم ليس ناتجاً من الكارما، ومن الأسباب، ومن الطبيعة»؟

— «يا صاحب الجلالة، شيئان في العالم ليسا منبثقين من الكارما، ومن الأسباب، ومن الطبيعة، ما هما هذان الشيئان؟ إنهما: الأثير، والنيرفانا».

— «لا تشوه أيها المبجل ناغازينا، أقوال الفاتح، بردك على أسئلته مثل الجاهل».

— «ماذا قلت يا صاحب الجلالة، كي تكلمني هكذا؟»

— «أيها المبجل «ناغازينا»، ان ما قلته عن الأثير، من أنه

غير منبثق لا من الكارما ، ولا من الأسباب ، ولا من الطبيعة ، صحيح » ، إنما بواسطة مئات من البراهين ، بين المعلم لتلاميذه ، الطريق الذي يقود نحو تحقيق النيرفانا ، غير أنه لم يبين سبباً واحداً لخلق « النيرفانا » .

« وهنا أيها المبجل « ناغازينا » تترك ظلمة ، إلى ظلمة أشد ، تترك غابة إلى غابة عذراء وأكثر عمقاً ، تترك دغلاً إلى دغل أكثر كثافة ، وبقدر ما يوجد في الواقع سبب لتحقيق النيرفانا ، لا يوجد سبب من أجل خلق هذا الشيء . فيا أيها المبجل ناغازينا ، إذا كان يوجد سبب من أجل تحقيق النيرفانا ، فيجب — يصح القول — أن يكون هنالك أيضاً سبب من أجل خلق النيرفانا ، إذ بقدر ما يوجد أب لولد ، يجب لهذا السبب أيضاً أن يكون أب لهذا الأب ، وبسبب وجود معلم للتلميذ ، يجب لهذا السبب أيضاً أن يكون هنالك معلم للمعلم ، وبسبب وجود بذرة للنبتة ، يجب لهذا السبب أيضاً أن يكون هنالك بذرة للبذرة . وهكذا أيها المبجل « ناغازينا » اذا كان يوجد سبب لتحقيق النيرفانا ، فيجب لهذا السبب أيضاً ، أن يوجد سبب لخلق النيرفانا . وبما أن للشجرة أو للنبتة المتعرشة رأساً أو نهاية ، فلهذا السبب لهما وسط ، وجذر أيضاً ، هكذا أيها المبجل « ناغازينا » ، إذا كان يوجد سبب لتحقيق

النيرفانا ، فيجب للسبب نفسه أيضاً أن يوجد سبب لخلق « النيرفانا » .

— يا صاحب الجلالة ، النيرفانا ، لا يمكن أن تكون مخلوقة ولهذا السبب لا يظهر أي سبب لخلق النيرفانا » .

— أيها المبجل « ناغازينا » ، اقنعني ببرهان مقدماً لي برهاناً بشكل أستطيع أن أفهم لماذا يوجد سبب من أجل تحقيق النيرفانا ولا يوجد سبب من أجل خلق النيرفانا .

حسناً ، يا صاحب الجلالة ! انتبه جيداً . سأقول لك السبب لذلك . هل يستطيع رجل بقوته الطبيعية يا صاحب الجلالة ، أن يتسلق جبلاً عالياً من جبال الهملايا ، منطلقاً من هنا ؟

— « أجل أيها المبجل ناغازينا » .

— ولكن هذا الرجل ، هل هو قادر بقوته الطبيعية أن يجاب جبلاً من جبال الهملايا .

— أبداً .

— كذلك من الممكن الارشاد إلى الطريق الذي يؤدي إلى تحقيق النيرفانا، انما من المستحيل إيجاد سبب من أجل خلق النيرفانا . هل يستطيع رجل ، اخترق المحيط بقوته الطبيعية

فوق مركب ، أن يبلغ الضفة المقابلة ؟

— أجل ، أيها المعلم المبجل .

— هل يستطيع هذا الرجل بقوته الطبيعية أن يجلب الضفة المقابلة من المحيط ؟

— أبداً أيها المعلم المبجل .

— كذلك من الممكن الارشاد إلى الطريق الذي يؤدي إلى تحقيق النيرفانا ، غير انه من المستحيل إيجاد سبب لخلق النيرفانا ، بسبب ان هذا الشيء لم يتشكل بطبيعته .

— « ايها المبجل ناغازينا ! هل ان النيرفانا غير مؤلفة ؟ »

— أجل يا صاحب الجلالة ، « النيرفانا غير مؤلفة » انها غير مصنوعة من أي شيء اطلاقاً ، لا يمكن القول عن « النيرفانا » انها تولد ، أو انها لا تولد ، أو انها يجب أن تخلق أو انها ماض ، وحاضر ، ومستقبل ، أو من الممكن التعرف إليها بواسطة العين او الاذن ، أو اللسان ، أو الجسد .

— إذا كانت « النيرفانا » أيها المبجل « ناغازينا » لا تولد ، ولا يصح العكس ... الخ . كما تقول ، فيعني قولك إذن أيها المبجل ناغازينا ، انك تصف « النيرفانا » كشي ليس موجوداً ، النيرفانا ليست موجودة .

ـ يا صاحب الجلالة . النيرفانا موجودة ، النيرفانا يمكن معرفتها من قبل الروح ، التلميذ النبيل الذي بروح صافية ، وسامية يعيش حياة صحيحة دون عوائق ، ولا شهوات دنيوية ، هذا يرى النيرفانا .

ـ « ولكن أيها المعلم المبجل ، تلك النيرفانا ، هل يمكن شرحها بواسطة الأمثلة ؟ اقنعني ببراهين تقول ان كل شيء موجود يمكن شرحه بواسطة أمثلة » .

ـ « يا صاحب الجلالة ، هل يوجد ، ما يسمى الريح » ؟

ـ « نعم أيها المعلم المبجل » .

ـ أرني ، أرجوك ، الريح ، عن طريق لونها أو شكلها وهل هي رقيقة أو كثيفة ، طويلة أو قصيرة ؟

ـ ولكن ليس من الممكن ، أيها المبجل « ناغازينا » أن تظهر الريح ، لأنه من غير الممكن امساكها ، أو لمسها باليد ، ورغم ذلك الريح موجودة .

ـ يا صاحب الجلالة ، إذا كان من غير الممكن اظهار الريح ، إذن ، فالريح غير موجودة » .

ـ اعرف أيها المبجل ناغازينا ، ان الريح موجودة . انا مقتنع بذلك ، لكني لست قادراً على اظهار الريح .

– كذلك يا صاحب الجلالة ، النيرفانا موجودة ، انما من غير الممكن اظهار النيرفانا بلونها أو بشكلها .

– حسناً جداً ، أيها المبجل ناغازينا ، المثل واضح جداً ، والبرهان جلي جداً ، وهكذا أوافق على ما تقول : النيرفانا موجودة .

(ميليندباها : ص ٢٦٨ – ٢٧١)

الحقيقة المقدسة الرابعة

الطريق الثماني النبيل

نشوء الجهالة يؤدي إلى نشوء التشكيلات الكارمية ، والغاء الجهالة يؤدي إلى الغاء التشكيلات الكارمية ، وان هذا الطريق الثُماني النبيل نفسه ، هو السبيل الذي يؤدي إلى الغاء التشكيلات الكارمية ، وهو يتألف من :

التفهم السليم
التفكير السليم
التعبير السليم
من العمل السليم
من وسائل العيش السليمة
من الجهد السليم
من الانتباه السليم
من التركيز السليم

عندما يفهم المريد النبيل هكذا النتاج المشروط :
والولادة ، والالغاء الواردين فيه ، والسبيل الذي يؤدي إلى
الالغاء ، ينظر إليه كمريد نبيل يملك التفهم السليم والنظرة
الحقيقية : كواحد توصل إلى الذارما الحقيقي ، ويرى
الذارما الحقيقي ذلك ، وبلغ نهر الذارما ، وهو رجل نبيل ذو
حكمة ثاقبة يقرع باب مسكن يخلو منه الموت .

(ساميوتا نيكايا (٢) ، ص ٤٣)

مثل الطريق الثماني

تصوروا ، أيها المريدون ، منخفضاً واسعاً وبئراً في غابة واقعة على منحدر أحد الجبال وبالقرب منهما يعيش قطيع كبير من الحيوانات الوحشية ، يأتي رجل يسعى إلى هلاك تلك الحيوانات وعذابها وشقائها ، فيخفي الطريق الذي يمكن السير عليه جيداً وبآمان ، ويشق طريقاً وعراً ، مسلكاً وعراً ، وحينئذ أيها المريدون ، يبدأ قطيع الحيوانات الوحشية الكبير بمكابدة العذاب ، ويلحق به الضرر والتلف ، وينقص عدده ، ولكن إذا جاء الآن أيها المريدون ، رجل يبحث عن رفاهية قطيع الحيوانات الوحشية الكبير وحسن عيشه ، وسعادته ، فان هذا الرجل يفتح ويشق الطريق الذي يمكن السير عليه جيداً ، وبآمان ، ويلغي الطريق الوعر ، المسلك الوعر ، وحينئذ أيها المريدون يزدهر القطيع الكبير من الحيوانات

الوحشية ويزداد عدده . لقد روي لكم أيها المريدون مثل لكي تدركوا المعنى ، فالمعنى هو كما يلي : المنخفض الكبير والبئر ؛ أيها المريدون ! يمثلان اللذات ، القطيع الكبير من الحيوانات الوحشية ، أيها المريدون ، يمثل الكائنات الحية ، الرجل أيها المريدون الذي يسعى إلى الهلاك ، والعذاب والشقاء يمثل « مارا » الماكر ، الطريق الخاطىء أيها المريدون ، يمثل الطريق الخاطىء ذا الشعب الثماني وهي : ايمان خاطىء ، ارادة خاطئة ؛ تعبير خاطىء ، عمل خاطىء ، وسائل عيش خاطئة ؛ انكباب خاطىء ، ذاكرة خاطئة ، تأمل خاطىء ، الطريق الوعر أيها المريدون ؛ يمثل اللذة والشهوة ؛ والمسلك الوعر أيها المريدون ، يمثل الجهالة ، الرجل الذي يسعى إلى الرفاهية ، وحسن العيش والسعادة هو أيها المريدون « الكامل » القديس ، الأسمى بوذا ؛ والطريق الأمين والجيد ، أيها المريدون ، والذي يسار عليه جيداً هو الطريق المقدس ذو الشعب الثماني المسماة : الايمان الصافي ،الارادة الصافية ؛ التعبير الصافي ؛ العمل الصافي ، وسائل العيش الصافية ، الانكباب الصافي ، الذاكرة الصافية ، التأمل الصافي . هكذا إذن أيها المريدون ، بي فتح المسلك الجيد والأمين الذي يسار عليه جيداً ، ودمر الطريق الخاطىء ، والطريق الوعر ؛ المسلك الوعر الغي . كل ما يستطيع فعله ، أيها المريدون معلم

يسعى إلى سعادة مريديه ، وهو مفعم حناناً منهم ، وحنواً عليهم ، قد فعلته من أجلكم .

(ماجيما نيكايا ، ترجمة ، أولد نبرغ – فوشيه ، البوذا : حياته ، عقيدته ، طائفته ، ١٨٩٤)

الايمـــان

قال الملك « لناغازينا » :

— « كيف يحدث ، أيها المبجل ان الجهد يكون العلامة المميزة للايمان ؟ »

— « يا صاحب الجلالة، عندما يلاحظ أحدهم، ممن يتعلمون اليوغا بجد ، لدى آخرين ، ان روحهم قد تحررت ، يقفز إلى أمام ، وينجح في بلوغ النهر ، أو في التقمص مرة واحدة ، أو في عدم التناسخ أبداً ، أو في أن يصبح «آرهات» ، انه يمارس اليوغا للحصول على ما لم يحصل عليه بعد ، للسيطرة على ما لم يسيطر عليه بعد ، ولتحقيق ما لم يكن قد حققه بعد ، ولهذا فان الجهد ، يا صاحب الجلالة ، هو العلامة المميزة للايمان » .

— « اعطني مثلاً »

— « لنفترض أن سحابة كبيرة غمرت بالمطر منحدر أحد الجبال . وان الماء المنحدر ملأ في بادىء الأمر الشقوق ، والثقوب . والفتحات جميعها الموجودة في المنحدر ، ومن ثم ملأ النهر الجاري في الأسفل بشكل جعله يفيض عن مجراه ، ولنفرض فوق ذلك أن عدداً كبيراً من الناس بلغوه ، وإنما لبثوا خائفين مترددين على الضفة لجهلهم في وقت معاً عرض النهر وعمقه . ولكن حينئذ يصل رجل مطلع ، مدرك لقوته الخاصة ، فإذا به يعلق وزرته ، ويرمي بنفسه إلى النهر ، ثم يجتازه . وعندما يرى الآخرين جميعهم أنه وصل إلى الضفة الأخرى . يفعلون مثله . على هذا الشكل أيها السيد ، يقفز من يتعلم اليوغا بجد — يمكن القول — إلى الامام عندما يدرك أن الروح لدى الآخرين قد تحررت ، لكي ينجح في بلوغ ضفة النهر ... الخ ، وهكذا يمارس اليوغا ، وعيناه متجهتان بثبات إلى الاهداف المذكورة أعلاه ، وهذا ما قاله السيد في « الساميوتا — نيكايا » :

« بفضل الايمان نجتاز الأمواج ،
والبحر بفضل الشجاعة المتحمسة ،
بفضل الصلابة نتغلب على الألم
بفضل الحكمة نحصل من جديد على الصفاء » .

(ميليندا بانها ، ص ٣٥ — ٣٦)

تجربة اللااستمرارية

في داخل هذا الراهب الذي يحذر هكذا من نفسه ، ويسود على وعيه ، والذي بدون أن يمكن نفسه من الانحراف يثبت في جهوده الحارة وفي عمله على نفسه . في داخل هذا الراهب ينشأ احساس باللذة ، فيدرك حينئذ ما يلي : « في ذاتي تولد احساس باللذة . لقد نشأ نتيجة لسبب . لا بدون سبب ، فأين يكمن هذا السبب؟ انه يكمن في هذا الجسد الذي هو جسدي . غير ان جسدي هذا غير مستمر ، ومولود ، ونتاج أسباب ، فكيف يصبح مستمراً ؟ وينصرف سواء فيما يتعلق بالجسد أم فيما يتعلق بالاحساس باللذة إلى التأمل في اللااستمرارية ، والهشاشة ، والتلاشي ، والانفكاك ، والانقطاع ، والتخلي ، وبينما هو منصرف سواء فيما يتعلق بالجسد أم فيما يتعلق بالاحساس باللذة إلى التأمل في اللااستمرارية ... الخ ، يتخلص

من كل ميل شره متحول نحو الجسد والاحساس باللذة » .

(ساميوتا ــ نيكايا ، ترجمة أولدنبرغ ــ فوشيه ــ بوذا : حياته ، عقيدته ، طائفته ، ١٨٩٦) .

انانية الآرهات

قال البراهمان «سانغارافا» (Sangarava) للسيد :

«أحب أن أقول لك ، أيها العزيز غوتاما ، ان البراهمة يقدمون قرابين، ويدفعون بالآخرين إلى أن يصنعوا كذلك . الجميع يتبعون طريق الثواب القائم على التضحية ، والذي يفيد منه كثير من الناس . غير ان من يترك أسرته ، يصبح بلا مأوى ، ولا يملك إلا نفسه ، ولا يطمئن إلا نفسه ، ولا يسمح إلا لذاته بالوصول إلى النيرفانا النهائية ، هكذا ، بتركه أسرته يتبع طريق ثواب لا يفيد منه إلا شخص واحد» .

— «حسناً أيها البراهمان ، لكي أجيبك أطرح عليك سؤالاً فما هو رأيك ؟ يظهر في هذا العالم «تاثاغاتا» ، آرهات ، بوذا كامل ، يتمتع بالمعرفة ، والسلوك الحسن في الحياة . عالم بالعالم ، قائد عربة لا يجارى للناس الموهوبين ، معلم

« للديغا » والبشرية ، بوذا ، سيد ، يقول : « تعالوا هوذا الطريق . هوذا السبيل الذي اتبعته قبل أن أحقق أولاً ، وان أعان من ثم حياة « البراهما » التي لا تضاهى ، بمعرفتي الخاصة الفائقة للطبيعة ، تعال أنت أيضاً ، اتبع هذا الطريق أيضاً ، كي تستطيع أنت أيضاً أن تمكث فيه بعدما تحقق حياة البراهما التي لا تضاهى عن طريق معرفتك الخاصة الفائقة للطبيعة » . هكذا كان المعلم يعلم الذارما . وآخرون تبعوه بسبب ذلك ، وفوق ذلك . ان هؤلاء ، يعدون بالآلاف ، بمئات الألوف ، وما دام الأمر كذلك ، هل تظن ان مجد الثواب الذي ينال بالرحيل . يفيد شخصاً واحداً ، أو آخرين كثيرين » .

— « ما دام الأمر كذلك ،أيها العزيز « غوتاما » ، فإن الثواب الذي ينال بالرحيل ، يفيد أشخاصاً متعددين » .

(انغوتارا — نيكايا — ١ — ، ص ١٦٨ — ١٦٩)

احتقار الجسد

كان في «ماثورا» (Mathura) غانية تدعى« فازافاداتا »
ذهبت خادمتها ذات يوم إلى « أوباغوبتا » (Upagupta)
لتشتري منه عطوراً . وعند عودتها قالت لها سيدتها : « يظهر
يا عزيزتي أن تاجر العطور هذا يحلو لك ؛ لأنك تشترين منه
دائماً — « يا ابنة سيدي ؛ ان اوباغوبتا ابن التاجر الموهوب
جمالاً ، وعبقرية ، ورقة . يقضي حياته متقيداً بالناموس » ،
وعندما سمعت « فازافاداتا » هذه الكلمات امتلأت حباً
« لاوباغوبتا » ، وأخيراً أرسلت إليه خادمتها تقول له : « لي
رغبة في أن القاك ، وسأنصرف إلى اللذة معك » . أدت
الخادمة مهمتها لدى « اوباغوبتا » ، غير ان الشاب كلفها بأن
تقول لسيدتها « يا أختاه : لما يحن الوقت لك أن تريني » . ولما
كان يلزم للحصول على الحظوة لدى « فازافاداتا » دفع مبلغ

خمسمائة « بورانا » فقد ظنت الغانية أنه إذا كان يرفض ، فلأنه لا يستطيع دفع الخمسمائة « بورانا » ، لهذا السبب أرسلت إليه من جديد خادمتها كي تقول له: « لا أطلب من ابن سيدي « كاشابانا » واحداً ، إنما أطلب فقط الاستسلام إلى اللذة معه » . أدت الخادمة مهمتها الجديدة أيضاً ، ورد « أوباغوبتا » بالجواب نفسه : « يا أختاه ، لما يحن الوقت لك لتريني » .

في أثناء ذلك جاء ابن أحد رؤساء الحرفيين يساكن « فازافاداتا » ، ثم جاء مدينة « ماثورا » تاجر يقود من الشمال خمسمائة من الخيل ليبيعها . سأل عن أجمل الغواني ، فقيل له انها « فازافاداتا » . وفوراً حمل خمسمائة « بورانا » وكمية كبيرة من الهدايا ، وذهب إلى المومس . حينئذ دفع الطمع « فازافاداتا » . فقتلت ابن رئيس الحرفيين الذي كان في بيتها ، ورمت جثته في القمامة واستسلمت للتاجر . وبعد بضعة أيام ، رفعت جثة الشاب من تحت القمامة من قبل أهله ، الذين اكتشفوا جريمة القتل ، فأعطى الملك أوامره فوراً للجلادين كي يذهبوا فيقطعوا يدي « فازافاداتا » ورجليها ، وأذنيها وأنفها . وأن يتركوها في المقبرة . نفذ الجلادون أمر الملك ، ورموا بالمومس في المقبرة .

في تلك الأثناء سمع « اوباغوبتا » بالقصاص الذي نالته « فازافاداتا » ، فطرأت عليه فوراً الفكرة التالية : هذه المرأة قد اشتهت في السابق أن تلتقي بي ، لغرض جسدي (ولم أوافق على هذا اللقاء) ، إنما الآن وقد قطعت يداها ورجلاها وأذناها ، وجدع أنفها ، فقد حان الوقت لأن تراني وتلفظ بهذه العبارات :

« عندما كان جسدها مغطى بالفراء الجميل . وعندما كانت تتألق بالزينة ومختلف الأنواع .

«كان من الأفضل للذين يطمحون إلى الخلاص ، والذين يريدون التخلص من قانون التناسخ أن لا يذهبوا للقاء تلك المرأة .

« أما الآن وقد فقدت عزها ، وحبها ، وغبطتها ، وقد شوهت بحد السيف ، وتحول جسدها إلى طبيعته الصافية فقد آن الآوان لرؤيتها » .

عندئذ لاذ بمظلة حملها شاب كان يرافقه كخادم له . وانطلق إلى المقبرة بخطى المتأمل ، كانت خادمة « فازافاداتا » قد لبثت بالقرب من سيدتها عرفاناً بجميلها عن مكارمها السابقة . وكانت تمنع الغربان عن الاقتراب من جسدها ، فلما

شاهدت « اوباغوبتا » قالت لها : « يا ابنة سيدي ان الذي أرسلتني إليه عدة مرات « اوباغوبتا » يقترب من هذه الجهة . انه آت بدون شك رغبة في اللذة». غير ان « فازافاداتا» ردت قائلة عندما سمعت ذلك :

— « عندما سيراني محرومة من جمالي ، ممزقة بالألم ، ماطخة كلي دماً ، كيف يستطيع الشعور بحب اللذة . »

ثم قالت لخادمتها : « اجمعي الأعضاء التي فصلت عن جسدي » فلمتها الخادمة فوراً ، وخبأتها تحت قطعة من القماش ، وفي هذه اللحظة برز « اوباغوبتا » ، ووقف أمام « فازافاداتا » ، فلما رأته المومس واقفاً هكذا أمامها قالت له :

« يا ابن سيدي ! عندما كان جسدي كاملاً وجاهزاً للذة أرسلت عدة مرات خادمتي إليك ، فأجبتني « يا أختاه لما يحن الوقت لك لرؤيتي . أما الآن وقد بتر السيف يدي ، وقطع رجلي ، وجدع أنفي ، واجتث أذني ، ورمي بي في الوحل ، والدم ، فلماذا أتيت ؟ »

ثم تفوهت بالعبارات التالية :

« عندما كان جسدي ناعماً لطيفاً مثل زهرة اللوتس ،

ومزيناً بالفراء والأثواب الثمينة ، وفيه كل ما يجتذب الأنظار ؛ كنت تعيسة جداً لعدم تمكني من رؤيتك.

« فلماذا جئت الآن تتأمل هنا جسداً لا تتحمل العينان النظر إليه ، وأصبح لا سبيل له إلى اللهو واللذة ، والمسرة ، والجمال ، جسداً يستثير الرعب ، ملطخاً بالدم والوحل ؟ »

أجابها « أوباغوبتا » :

« لم آت إلى قربك يا أختاه ، مدفوعاً بحب اللذة ، إنما أتيت لأرى الطبيعة الحقيقية للأغراض البائسة لمسرات الانسان » .

(ديفيا فادانا ٢٦٠ ؛ ترجمة بورنوف ، مقدمة لتاريخ البوذية الهندية ، ١٨٧٦)

المركبة الكبرى (ماهايانا)

لم تكتمل عناصر المركبة الكبرى إلا في المجمع الرابع المنعقد حوالى العام ١٢٠ من بعد المسيح . وتكمن ميزتها التي تنفرد بها ، وقيمتها بالنسبة إلى المركبة الصغرى خاصة ، في أنها تتضمن روحية جديدة مؤداها أن الهدف الأسمى للشريعة البوذية ليس أن يخلص الانسان نفسه من الحلقة المفرغة لتوالي التقمصات مما يشكل في الاساس طموحاً أنانياً، انما أن يساعد أمثاله للتوصل إلى هذا الخلاص ، والمثال الأعلى للمركبة الكبرى يتمثل في « بوذي ساتفا » الذي عندما بلغ عتبة « النيرفانا » رفض الدخول فيها ، كي يخلص الذين تركهم وراءه ، وهم لا يزالون يتخبطون في حبائل « المايا » ، وهكذا تعارض تقلبات الثواب الجبرية الكارمية . وإليكم فصلاً من نصوص لوتس الناموس الجيد« سادارمابونداريكا»

وهو أهم فصول المركبة الكبرى التي تتغنى بأمجاد فضائل « بوذيساتفا » :

قال المعلم : « بفضل قوتي الفائقة الطبيعة . يتخيل العالم بآلهيه وبشره ، واسوراه » [1] (Assurus) . ان المعلم « شاكياموني » قد استيقظ حديثاً على الاشراق الكامل فوق سطح الاشراق ، قرب مدينة « غايا » بعدما هجر وطنه الذي يحكمه « الشاكياس » . انما يجب أن لا ينظر إليه هكذا كابن أسرة جيدة ، ففي الواقع ، منذ مئات متعددة من الآلاف من « مرياد الكوتيس »[2] : قد استيقظت أنا على الاشراق الكامل ، ومنذ ذاك الوقت لم أكف عن عرض « الذارما » أمام الكائنات التي تعيش في هذا النظام الأرضي من « الساها » [3](Sahâ) ، وأيضاً في أنظمة أرضية أخرى متعددة ، وإذا كنت قد تكلمت عن « تاثاغاتا » آخرين ، ابتداء « بتاثاغاتا ديبانكارا » (Dipankara) ، وعن « نيرفانا » هؤلاء « التاثاغاتا » ، فان تلك الطريقة من الكلام لم تكن سوى أسلوب أعرض بواسطته الذارما .

---

(١) جبابرة في قتال مستمر مع الآلهة .

(٢) أرقام كبيرة .

(٣) الكون حيث نعيش فريسة الألم .

انه (أي التاثاغاتا) يلقي خطباً من جميع الأنواع عن «الذارما»، خطباً تختلف بأساسها الموضوعي لأن الكائنات هم أيضاً يختلفون بطريقة حياتهم، وبنياتهم: انهم يتجولون وسط الخيارات والمدارك الحسية ولا يمكن إلا بتلك الطريقة أن تزرع فيهم جذور الخير، لأن «التاثاغاتا» يقوم بمهمة «التاثاغاتا»؛ ومنذ عصور لا يمكن تذكرها. يحيا في اشراق كامل، حياته التي لا نهاية لها: انها خالدة. ورغم كونه لم يدخل في «النيرفانا» فهو يعرض دخوله إليها. بسبب الذين يجب تعليمهم. واليوم أيضاً ان مهمتي الطويلة. «كبونيساتفا» لما تكتمل، وزمن حياتي لما ينقض. وابتداء من اليوم، يجب أن ينصرم أيضاً ضعف المئات العديدة من الألوف من «النايوتا» [1]: من العصور قبل أن ينتهي زمن حياتي، ورغم عدم دخولي في الوقت الحاضر إلى النيرفانا (أو الانطفاء) فاني لا أخفف من عرض «نيرفانتي» إذ بهذه الطريقة أقود الكائنات إلى النضوج.

(سادذارما بوندرايكا ــ ١٥، ص ٢٦٨ ــ ٢٧١)

---

(١) عدد كبير من «الكوتيس».

المركبة الطنطوية

فاجرايانا ـــ وحرفيا طريق الصاعقة والماسة

تحت تأثير الطنطرا (الكتب) التي تعالج الهندوسية ظهرت وتطورت طريقة من البوذية تعتمد السحر، بعد سنة ٥٠٠ بعد المسيح، فبواسطة «المانترا» (مقاطع أحرف مقدسة) يعتقد أنها مملوءة بماهية الله نفسه. يأمل المؤمنون في التوصل إلى المطلق، حيث بعد الغاء كل ثنائية بين الكائن والشيء يسود الفراغ. وهذه الحالة ممثلة في «البراجنا باراميتا» (معناها الحرفي: الوصول إلى ما وراء الطاقة «براجنا») أي الاستعداد لتقبل الاشراق. والنص التالي يلقي ضوءاً على الأهمية التي يأخذها السحر في المركبة الطنطرية.

استحضار «البراجنا باراميتا»

يجب من عمق القلب الصافي التصور، ان مقطع «ذيه»

(Dhih) ، موضوع فوق أسطوانة قمرية وبالاشعاعات التي تنطلق منه، يجب دعوة ، واجتذاب « الغوروس » [١] والبوذات ، والبوذيساتفات[٢] (بالجمع)، كما يجب تصورهم جالسين أمامنا في أوضاع مختلفة ، وبعد ذلك يجب الاعتراف في أعماق الفكر بالخطايا . والفرح بالثواب الذي تراكم ، والبحث عن الملاذ الثلاثي [٣] ، وإيقاظ فكرة الاشراق ، وتقديس الثواب ، وطلب المغفرة ، ومن ثم يجب التأمل في الفراغ بواسطة الكلمات التالية .

أملك في داخلي الماسة [٤] التي هي معرفة الفراغ

ثم يجب التصور أن حرف « ذيه » الموضوع فوق اسطوانة

---

(١) غوروس : تعني المعلمين :

(٢) البوذيساتفا تعني حرفياً الكائنات التي في حالة الاستيقاظ ، بعكس بوذا التي تعني الذين استيقظوا فعلاً ؛ البوذيساتفا يصبح في المركبة الكبرى والمركبة الطنطرية الشفيع ، الوسيط بين بوذا والمؤمنين به .

(٣) يجب تلاوة عبارة الحلى الثلاث (تريراتنا) .

(٤) فاجرا التي تعني في وقت معاً ماسة وصاعقة ، تمثل العنصر الذكر أما ندها فزهرة اللوتس (بادما) التي تمثل العنصر النسائي :

قمرية قد أصبح الامرأة « براجنابارامیتا » وهي تلبس على رأسها حلية من الشعر المجدول ، ولها أربع أيدٍ ووجه واحد. وتؤدي باثنتين من يديها الحركة التي تدل على أنها تشرح « الذارما » وهي مزينة بمختلف الجواهر المصنوعة من الحجارة الكريمةوهي ،تتلألأ مثل الذهب.وفي يد أخرى يسرى تمسك زهرة اوتس زرقاء عليها كتاب « براجنابارامیتا »[1].وهي تلبس ثياباً ، وثياباً تحتية مختلفة وبيد أخرى يمنى تقوم بالحركة التي تبعد كل خوف [2] ، وهي جالسة فوق أسطوانة قمرية وفوق زهرة لوتس حمراء مكتوفة الرجلين .

وعندما يجري تصورها هكذا ؛ يجب اللجوء إلى عملية المماثلة على الشكل الآتي : « كما الامرأة (براجنا بارامیتا ») هكذا أنا ، وكما أنا هكذا المرأة « براجنابارامیتا » ؛ ثم يجب توزيع « المانترا » كما يلي :

---

(١) « الشوترا بارامیتا » تشكل النصوص الأكثر أهمية من المركبة الكبرى .

(٢) انه واحد من الأوضاع الستة ليدي بوذا ، فعندمايريد ابعاد كل خوف (ابهايا مودرا) Abhaya maudra يقدم اليد اليمنى والأصابع مرتفعة ، والراحة إلى الخارج .

– اوم ذيه في الحلق OM Dhih

– اوم جيه على اللسان OM Jih

– اوم جريه على الأذنين OM Jrih

ثم يجب أن تمثل في قلبها زهرة من اللوتس حمراء ذات ثماني أوراق تنطلق من المقطع «آه» (Ah) والزهرة كاملة بكأسها وسداتها : وعلى كأس زهرة اللوتس تلك وتويجاتها يجب أن تكتب فكرياً الكلمات الآتية بأحرف صفراء :

على التويجة الشرقية : العزة

وعلى التويجة الجنوبية الشرقية : للمرأة .

وعلى التويجة الجنوبية : براجنا باراميتا

وعلى التويجة الجنوبية الغربية : التي فضيلتها الخلود .

وعلى التويجة الغربية : التي تنحني للعبادة مملوءة حباً

وعلى التويجة الشمالية الغربية : المملوءة علم التاثاغاتات جميعهم

وعلى التويجة الشمالية : وتحمل الحب للجميع .

وعلى التويجة الشمالية الشرقية : اوم ذيه

ثم :

من جهة الشرق : سرو Sru

ومن جهة الجنوب ــ الشرقي تي Ti

ومن جهة الجنوب : سمر Smr

ومن جهة الجنوب الغربي : تي Ti

ومن جهة الغرب : في Vi

ومن جهة الشمال الغربي : جا Ja

ومن جهة الشمال : يي Ye

ومن جهة الشمال الشرقي : سفاها Svaha

وبعد توزيع المانترا هكذا ، يجب تلاوتها والتأمل فيها : يوماً ، أسبوعاً ، أو ستة أشهر ، أو عاماً ، وهكذا تنال الحكمة. (ساذانا ــ مالا) نشرت من قبل ب. ياتاشاريا بارودا (١٩٢٥ ، ١٩٢٨ رقم ١٥٦

B . Bhattacharya , Baroda 1925,1928 (no 156

لمحة تاريخية

عدد الكتب التي تعالج البوذا والبوذية كبير جداً . فكل لمحة تاريخية لا يمكن إلا أن تكون متيسرة جداً ، وبالتالي شخصيانية: إنما لنلاحظ أن هناك عدا بعض التفاصيل ، كتابين قديمين كفاية لهما بالنسبة إلى تفهم فكر بوذا قيمة استثنائية وهما : كتاب هـ. فون غلازناب H. Von Glasenap عنوانه « براهما وبوذا » ، باريس بايو Payot ، ١٩٣٧ .

وكتاب هـ. اولدنبرغ H. Oldenberg وعنوانه : البوذا : حياته ، عقيدته ، طائفتة، باريس،الكان Alcan، ١٨٩٤ .

ومن الكتب الأكثر حداثة نذكر :

– اندره باررو André Barreau وعنوانه: «بوذا»، باريس ، منشورات سيغر Seghers ، ١٩٦٢ .

– كوماراسويني Coomaraswany وعنوانه: فكر بوذا ، باريس ، كوريا Corréa ، ١٩٤٩

– راهولا Rahula ،وعنوانه: تعاليم بوذا — وهو تحليل يتبعه مختارات ، باريس ، ١٩٦١ .

فهـــرس

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

صدر حديثاً

في سلسلة اعلام الفكر العالمي

فرانز فانون
راسل
البير كامو
ماركوز
غيفارا
هيدجر
ماركس
فرويد
نيتشه
انجلز
ديكارت
هيجل
سارتر
اندريه مالرو
كافكا
بوشكين
بريخت
بيكيت
اراغون
متزيني
ميكيافيللي

كانط
هوغو
غوتـه
دستويفسكي
لوركا
لوكاش
غوركي
فيبر
روزا لكسمبورغ
جويس
داروين
تورغنيف
طاغور
ماياكوفسكي
اندريه جيد
فوكنر
غوغول
اورويل
برودون
بودلير
اناتول فرانس

رامبو
اوسكار وايلد
شتاينبك
برنارد شو
غرامشي
اودن
توماس مان
ادغار الان بو
رينان
سبينوزا
دوركيم
فلوبير
فورييه
بيرون
سرفانتس
بيراندللو
سان سيمون
مالارميه
تروتسكي
لورانس

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً "موكيالي" بيروت - ص.ب ١١/٥٤٦٠ بيروت

الثمن [illegible]
أو ما يعادلها